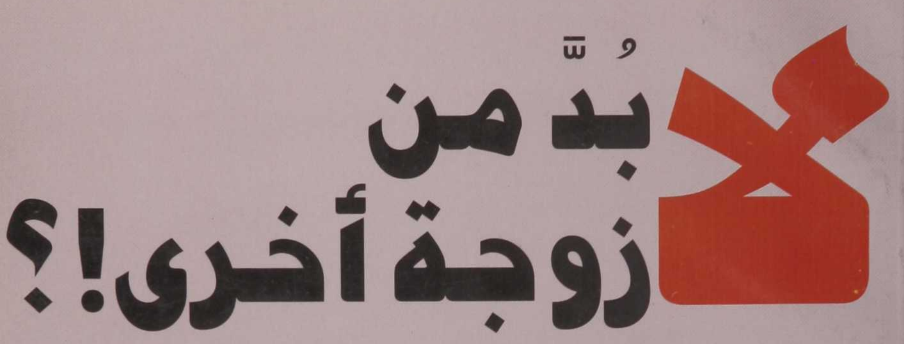


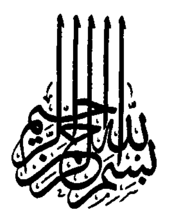
# لا بُدَّ من زوجة أخرى!؟



الدكتور محمد سعيد التريكي

# لا بد من

# زوجة أخرى !؟



# لا بد من زوجة أخرى !؟

تأليف

د. محمد سعيد التركي



**الطبعة الأولى**

**1426 هـ - 2005 م**

**ISBN 9953-29-686-3**





الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

# إهـــداء

*أهدي هذا الكتاب، إلى كل إمرأة تعانـي من مشكلات تعدد الزوجات، ولم تعلم سبب زواج زوجها بغيرها، وإلى كل رجل يعزم أو قد سبق وقام بالتعدد، وإلى كل رجل يحب التنقل بين النساء، وإلى جميع القراء الذين لم يجدوا تفسيراً لميل الرجل إلى التعدد*

# فهرس الكتاب

# مقدمة الكتاب

هل تعدد الزوجات أو تعدد النساء، من المسائل الضرورية أو الملحة للرجل؟

هل هناك حاجة للسماح للرجال بتعدد الزوجات؟

هـــل يقوم تعدد الزوجات بعرقلة النهضة في المجتمعات؟ أم هو مادة ضرورية للنهضة؟

ما الفرق بين تعدد النساء، وتعدد الزوجات؟ أيهما أصدق؟

أيهما أصلح للمجتمعات؟

هل تعدد النساء مقتصر على المجتمعات العربية والإسلامية، أم هو شائع حتى في المجتمعات الغير عربية وغير إسلامية؟

ما هو رأي النساء المسلمات والعربيات في التعدد؟ وكذلك ما هو رأي النساء الغير عربيات والغير مسلمات في التعدد؟

مـــا هو رأي الرجال في تعدد النساء؟ عرباً كانوا أم عجماً؟ مسلمين أم غير مسلمين؟

ما هي الدوافع التي تدفع الرجل إلى التعدد؟ هل هو الطيش، أم هو الترف، أم العادات والتقاليد؟ أم هو نقص أعداد الرجال، وإرتفاع أعداد النساء؟

لماذا لا تقوم المرأة بالتعدد؟

هل تذهب المرأة ضحية تعدد النساء؟

هـــل الزوجة الأولى هي سيدة الموقف؟ أو أنها هي المسبب لبحث الزوج عن زوجة أخرى؟

هـــل الزوجة الثانية متعدية على حق الزوجة الأولى، وظالمة لها بقبولها الزواج بزوجها؟

هـــل تصـــطاد الـــزوجة الثانية في الماء العكر، وتحاول أن تكسب الرجل إلى جانبها، بعيداً عن زوجته الأولى وأبنائه؟

مـــن هـــم هؤلاء الرجال الذين يقومون بالتعدد؟ مقارنة بأمثالهم من الرجال الذين لا يقومون به؟

هل يعلم الرجل لماذا يقوم بالتعدد؟

هـــل تعدد الزوجات من الترف والتنعم، والتقلب بين أحضان النساء؟ أم هو مسؤولية ومشقة إضافية يتحملها الرجل، فوق مشاغله ومسؤولياته؟

هل المشكلة السائدة عند الشباب تكمن في التعدد؟ أم المشكلة تكمن عندهم في عدم القدرة على الزواج؟

لقـــد كانت، وما زالت، وستبقى كل هذه الأسئلة عن موضوع تعدد النساء وتعـــدد الـــزوجات، موضعَ جدلٍ واسعٍ وعريض في جميع أنحاء العالم، فمنهم من أجـــاب علـــيها أو على بعضها، ومنهم من لم يجب، ومنهم من يقضِ عمره وهو يجـــادل في إجابات هذه التساؤلات. ولكن عند الشباب، وبالذات في العالم العربي والإسلامي، لا تجد اسئلة كهذه لإجابتها أهمية عندهم، فهم يشغلهم الإعداد للقيام بفعل الزواج، فضلاً عن الإنشغال بالتفكير في التعدد.

ولذا فسيقدم الكتاب فصولاً، تتحدث عن كل هذه الأمور من جوانب عدة، لـــيس من وجهة نظر العرب والمسلمين فحسب، بل ومن وجهة نظر العجم وغير المسلمين كذلك، ويقدم رؤية هؤلاء كلهم، لموضوع التعدد.

وكـــذا الحديـــث عن موقف الجميع من أمر تعدد النساء أو تعدد الزوجات، وردة فعلهم وتصرفهم إتجاهه، وكيف يتعامل كل فريق معه.

وسيعطي الكتاب فكرة عن الأفكار، التي تحاول التأثير على تفكير الناس بهذا الخصـــوص، والإعلام الذي يحاول أن يشكّل عقولهم، والأنظمة التي تعمل على أن تصبغ عقولهم وحياتهم بصبغة معيّنة، وخاصة عند العرب والمسلمين منهم.

ثم ينـــتقل الكتاب ليتحدث بشكل مجرد، عن الدوافع التي تدفع الرجل للتعدد غالباً، وبشكل مفصّل، من منطلق دراسة نظرية علمية، ومشاهدة عملية.

وينـــتقل إلى طرح الأفكار بكيفية تمس مشاعر المرأة والرجل على حد سواء، وتناقش قناعاهم وأفكارهم فيما يتعلق بتعدد النساء، أو تعدد الزوجات.

ثم تنـــتقل الفصول، لتناقش الكيفية التي يجب أن يتعامل بها كلا الطرفين مع هذه المسألة، التي تحولت لتكون بعمق جدلية في مجتمعات كثيرة غربية وشرقية.

# مقدمة الكاتب

لقـــد أصبح من الضروري طرح هذا الموضوع في إطار أدبي لطيف، بعيداً عن توجـــيه الأوامـــر، وتقريـــر المواقف، والأمر به، فمسألة التعدد لها شجون نفسية وإجتماعـــية، وكذلك عاطفية، وليست هي قوانين جافة ومجردة، ورأيت لذلك أن أطرح هذا الموضوع الحساس بطريقة يستطيع القارىء أن يشارك ويدلي فيها برأيه، ويقول عما يجول في خاطره، وخاصة من الجانب النسائي.

وأرى أني لكـــتابة هذا الكتاب كنت مضطراً، وذلك لأني لم أجد كتاباً يحقق حاجـــة القارىء وبالذات القارئة في إجابة تساؤلاهم عن أمر التعدد، وما يتعلق به مـــن حقـــائق وملابسات في الحقوق، ومن جهة أخرى إني وجدت هذا الأمر قد أصبح واسع الجدال والنقاش، وملحاً الحديث عنه في كثير من الأو قات والأحيان، وبقـــوة في الأوساط النسائية، ولذلك حاولت أن أجد الحلقات الضائعة في نقاش هذا الأمر، وقمت بنظمها مع باقي الحلقات المعلومة لدى المهتمين.

ولـــو لاحظـــنا فإننا قد لا نجد إلا فريقين يتناولان هذه المسألة، فريق يطرحه مُســـلّماً بالآيـــات القرآنية والأحاديث الشريفة، ويذكر محاسنه، ويذكر وجوب إتباعه، والتسليم بأمره، دون حاجة لأن يدرك القائمون به حكمته الربانية، وفريق آخر يحاول أن يذكر محاسن التعدد وفوائده لإقناع القارىء أو القارئة به، وصلاحه للمجتمعات.

وهناك فريق آخر مخالف لهذين الفريقين، جلهم من النساء، يناقشه من منطلق عـــلماني بموقف الرافض له، وأنه تشريع لم يعد لـــه صلاحية في هذا الزمان، وأنه ظـــلم لـــلمرأة، وأنـــه تشريع غير نافع، إستناداً إلى كثير من الحجج والبراهين من الواقع.

عمـــدت إلى كـــتابة هذا الكتاب من منطلق جدلي بعيد عن رأيٍ خاصٍ بي،

حيث تركت الرأي فيه للنساء من المجتمعات العربية، وكذلك للنساء من المجتمعات الغربية، ونقلت آراءهن كما كانت وما زالت من مجالسهم، وتركت الرأي فيه كذلك للرجال منهم العرب والغربيين، ونقلته كما هو بكل صراحة، وبعيداً عن الغموض أو إخفاء شيء منه، ونقلت كل ما يتعلق بهذا الأمر من بعض القصص الواقعية والمسلية أحياناً، ثم عمدت إلى طرح أفكار أخرى للجدال، في أبواب مختلفة، وطرحتُ ما يتعلق بها من أحاديث وشجون.

ولقد ختمت الكتاب برأيي الخاص فيما يتعلق بالتعدد، فإن كنت قد أحسنت فهو من الله، وإن كنت أسأت فهو مني.

**وبالله التوفيق**

# تعدد الزوجات من وجهة نظر النساء والرجال

# موقف النساء العربيات من التعدد

## مجموعة من النساء في مدينة جدة:

اجتمعـــت مجموعـــة من النساء في مدينة جدة، في إحدى أمسياقمن الدورية، اللاتي كن يناقشن فيها في كل مرة أمراً إجتماعياً أو ثقافياً أو غيره، إلا أن في هذه المـــرة، حظيت أمسيتهن بالحديث عن موضوع مثير ومخيف لهن في آن واحد، وهو موضوع تعدد الزوجات، وقد كان الحديث في هذا الأمر محرجاً إلى حد ما، سببه، أن مـــن بـــين الحاضرات من كنّ قد أقدم أزواجهن على الزواج، وكنّ قد وجدن أنفسهن في وضع حرج أمام صديقاقمن، كون أن هؤلاء الزوجات أصبحن يشعرن أهـــن بزواج أزواجهن بغيرهنّ، قد وُضعن في قفص الإهام، بأهن غير كفوءات أو ناقصات، مما دعا أزواجهن لأن ينصرفوا للزواج بغيرهنّ.

وكـــون أن هؤلاء النسوة ينتمين إلى مجتمع نسائي من الطبقة المرفهة، أو كما تُســـمى المخملية، التي يفترض أن تتراجع فيها أفكار تعدد الزوجات، وتتقدم فيها الأفكـــار الحديثة لصورة الزوجين، كما في الأفلام الأمريكية والدعايات التجارية، وأفلام الفيديوكليب، والخيال الرومانسي.

عـــلى الرغم من ذلك، أقدمت تلك النسوة على نقاش هذا الأمر، بتلطف شديد وعـــناية، لـــلمحافظة على مشاعر صديقاقمن من الزوجات المعنيات بهذا الأمر، إلا أن نقاشهن قوبل برحابة صدر واسعة من صديقاقمن، فبدأ نقاش ممتع، وفي غاية الصراحة.

بـــدأت إحدى الحاضرات الحديث، ممن تزوج زوجها بغيرها، قائلة: "عندما أقـــدم زوجي على الزواج، أصبت بصدمة نفسية، أفقدتني كل ما أملك من الآمال والأحلام، وأدخلتني في متاهة من الضياع والإحباط وفقدان الثقة بنفسي، وتسببَت كذلـــك في أن أفقدتني قيمة كل الأشياء التي أمتلكها، وشعرت أني بالتالي فقدت

حياتي الزوجية، وزوجي الحبيب، وشعرت بضياع أبنائي، وشعرت أن القيامة حان موعدهـــا، وقمت فيما قمت به، كردة فعل لهذا الحدث المخيف، بالصياح والنياح وطلـــب الطلاق فوراً، ووضعت زوجي تحت التهديد بترك البيت، إن لم يقم فوراً بتطليق زوجته الجديدة.

وأكملت حديثها قائلة:

لا أستطيع أن أقول إلا أن زوجي رجل طيب، و لم أر منه في حياتي سوءاً قط، حتى عندما فعلتُ ما فعلتُه من الصياح والتهديد، كان زوجي حكيماً، و لم يستجب لإنفعـــالاتي، وقـــد حاول إفهامي أن هذا قراره، وحقه الشرعي، وما إلى ذلك من حجـــج، وحاول إفهامهي قاسماً بالله لي أنه يحبني، وأنه لم يتزوج بغيري لنقص أو عيـــب بي، ولكـــنه تزوج لدوافع أخرى خاصة به، ولكني في نهاية المطاف لم أقتنع بأسباب زواجه الجديد هذا.

ثم تصبرت لهذا الحدث فيما بعد وتريثت، وحاولت التعقل، وقمت بإستشارة محبيَّ من أهلي وغيرهم فيما عليّ فعله تجاه زوجي الذي ظلمني، ولكني لم أجد من أحـــد مـــنهم إلا أهـــازيج من النصائح بالصبر والتصبر، وأن هذا هو حق الرجل الشرعي، وأن ليس لي إلا القبول، فأنا لست صغيرة، كما يقولون، وحتى ولوكنت صغيرة فكيف أفعل بأبنائي إن تركت البيت وأخترت الطلاق، وفي الحقيقة وجدت كل أحاديثهم ونصائحهم كأنها مواساة في فقيد، فقبلتها على مضض، وحاولت أن أتعامل معها، فقد يرى الناس ما لا أراه.

شـــعرت أن كل هذه النصائح، وإن اتبعتها فلن تزيل عني أحلامي وذكرياتي الجمـــيلة التي قضيتها مع زوجي، وعلاقة الحب معه، التي لا يعلم الناصحون عنها شـــيئاً، ورأيت أن هذه النصائح لن تعيد لي حب زوجي لي، وعشرته الجميلة معي كمـــا كانت، فأنا أرى أني الآن حقاً فقدتها، ورأيت أن لا عودة إلى هذه العشرة بعد هذا الذي كان منه، وأن إتباع النصائح لن يزيل عني الخوف من المستقبل، ولن يزيل عني فقدان ثقتي بنفسي.

عـــلى أي حال مضى على هذا الحدث شهوراً، وأنا لا أراه إلا يوماً بعد يوم، وهو دائماً في أجمل مظهر وأبهى حلة، و"آخر شياكة"، بخلاف ما تعودت عليه منه ســـابقاً، وقد كنت أترقب خائفة المتغيرات في حياتي وإهتمام زوجي بي، وأترقب تغيّر حبه لي، وصرف نظره عني، إلا أن هذا كله لغرابة الأمر لم يحدث.

وبالـــرغم من أن الترقب والخوف كان هاجسي الدائم، وكان يوهمني الخوف أحياناً بالتغيّر، فقد أخذت بالتعود على هذا الحال، وأخذت أقبل به، ولا أعلم هل كانت الأيام هي التي داوت الجروح عندي، أم أن الخوف هو الذي كان مبالغاً فيه لدرجة الرعب، أم سببه أن زوجي بحسن تصرفه وحسن أدبه، ولطف تعامله معي، وتفهمه لنفسيتي، هو الذي جعل الأمر طبيعياً جداً؟!

ثم أضافت قائلة:

عـــلى جمـــيع الأحوال فأنا في الحقيقة لم أجد فرقاً عن سابق حياتي معه، غير الغـــيرة الـــتي تعتمر قلبي أحياناً، والشعور بالرغبة الملحة في إجتذاب زوجي ولفت نظـــره إليّ، وأقولها بكل صراحة، فقد أخذت أراجع حساباتي، في تحسين مظهري وقوامـــي، بكافـــة أنواع الزينة ووسائل التجميل، علّي أصرف نظره عن زوجته الثانية، وخوفاً من أني كنت أصلاً المقصّرة في حقه فيما يتعلق بهذا الأمر يوماً ما، ما دفعه للزواج بغيري.

ولكـــني الآن ما زالت في قلق دائم، بسبب خوفي من شماتة النساء الأخريات بي، وخوفي من نظراتهن اللاذعة لي، وقد حاولت صديقات كثيرات لي إقناعي، بأن ما أحسه من شماتة غيري بي غير صحيح، ولكني إلى الآن لم أستطع الإقتناع بصحة كلامهن وصدقه، بالرغم من تأكيداتهن.

ثم أنهت حديثها قائلة:

بقـــي أمر واحد أخير ما زال يحيرني، ولم أستطع ولم يستطع زوجي الإجابة عليه وهو : ما هو الدافع الذي دفع زوجي للزواج بغيري"؟

وبعـــد أن أخذ الحديث حلاوته في هذا الإجتماع النسوي، إشتركت سيدة

أخرى تحكي عن تجربتها، التي كانت كما يبدو أكثر شدة وأعظم قسوة فقالت:

"لقـــد كنت أحب زوجي حباً شديداً وما زلت، بل إني أعشقه، وقد قضيت معه أجمل أيام حياتي، ولكن أنانيته دفعته بعد كل الأيام الحلوة التي قضيناها سوياً، إلى أن يذهـــب فيـــتزوج بـــزوجة أخرى، أقل جمالاً مني وأقل بهاءً، وأنا سيدة لا ينقصني من الجمال والذكاء وحسن تدبير المترل والطبخ شيئاً، بل إني إمرأة عصامية شـــاركت زوجي أقسى وأحلك ظروف الحياة والأيام، ولكن بالرغم من كل هذا الإحسان الذي قدمته لـــه لم يثمر فيه إحساني، فقام بطعني في ظهري بهذا الزواج، ولذا فإني أعتبره خائناً، وغير وفي، وناكراً للمعروف.

ثم أضافت قائلة:

ولكني لن أقبل بهذا الأمر مطلقاً، ولن أرتضيه يوماً، حتى بعد هذه السنين التي قضيتها في هذا الحال، لا زلت أرجو وأصرّ على طلاق الزوجة الجديدة، حتى أنفرد أنا به، وأبقى زوجته الوحيدة.

أمـــا فيما يتعلق بخُلُقه وأدبه وقيامه بواجباته تجاهي، فإني لا أستطيع أن أذكر سوءاً به مطلقاً، غير أنه خانني، وخان عشرته معي.

وأقولها بكل صراحة، إني ما زالت أقوم بالتنكيد والضغط عليه أحياناً، وأحس بشعور الإنتقام لنفسي منه ومن زوجته الجديدة، وما زلت أشعر بالقهر والظلم. بل أرى أني ما زالت نادمة للصبر حتى الآن على مصابي، ولو علمت لما صبرت".

ثم إعترضت الأحاديث إحدى الحاضرات الجميلات التي تجاوزت الثلاثين من العمر قائلة:

"ربمـــا ستعجبون من حديثي، وأقولها بكل صراحة أني من بيئة ترفض التعدد مـــن أصـــله ولا تقبله، وقد كنت كذلك أؤمن برفض تعدد الزوجات، وقد تقدم لخطـــبتي الكـــثير من العزاب، و لم أقبل بأحد منهم، وفي نهاية المطاف تعرفت من خـــلال عمـــلي على أحد المتزوجين من الرجال، وقد أخذ لب عقلي بشخصيته الـــرائعة ورجولته وهيئته، ثم تقدم لخطبتي، و لم أتردد برهة واحدة في قبوله زوجاً،

ووجدت أن قضية الزواج لا يحكمها كون الرجل متزوجاً أو عازباً، وإنما يحكمها كون الرجل هو فارس الأحلام أم لا".

ثم أخذ نقاش هؤلاء السيدات عن التعدد يتسع، وحصل هرج ومرج وارتفاع للأصوات، ثم أخذ الجدال في نهاية المطاف يجمع أطرافه، وبدأن يخرجن بفوائد مستخلصة من هذه القصص وهذا الجدال، كان أبرزها أن تعدد الزوجات بلا محالة أمر مؤلم للمرأة، ومجهد لنفسيتها، ويقض مضجعها، ويثير مخاوفها.

ولكن بعيداً عن أعين الرجال وأسماعهم، وبهمس لطيف أقررن أن حججهن في الخوف يعتريها الضعف، فهن يرجعن سبب الألم النفسي إلى الخوف من شماتة الناس، أو يرجعنه إلى الخوف من ضياع حياتهن الزوجية، وهذا غير صحيح، لأن مجرد الخوف، ليس حجة كافية لرفض تعدد الزوجات على الإطلاق أو قبوله، فوقوع الشماتة، أو ضياع الحياة الزوجية، ليس حدثاً لازماً، بناءً على المُشاهد المحسوس من الواقع.

لقد عدن فوجدن أن حججهن قوية لرفض تعدد الزوجات على الإطلاق، فالغيرة أمر غير مقدور على تجاوزه، وأن الزوج كونه جسم وقلب يستحيل أن تشترك فيه إثنتان من النساء أو أكثر، وسيصبح حتماً مائلاً إلى إحداهن، ويكون حينها غير صادق في أحاسيسه، وهذا أمر تخاف منه المرأة كثيراً، غير أن إمكانية نقص الموارد المالية شيء يُتخوف منه أيضاً.

أما بعض هؤلاء المشاركات في هذا اللقاء فقد آثرن الحياد، وكنّ ممن ليس لهن كما يقال "طبائن" أو "ضرائر"، وعلى رغم ذلك يجدن أن لا بأس من أن يكون للرجل زوجة ثانية أو أكثر، اللهم أنهن لا يتمنّينه لخاصة أنفسهن، أو لبناتهن.

أما بعض المشاركات اللواتي كن الزوجات ذوات الرقم إثنان أو ثلاثة أو أربعة، ولم يكنّ الأوائل أصلاً، فقد لزمن الجانب الهادىء وأحياناً الصمت، فهؤلاء لا يجدن في هذا الأمر سوءاً على الإطلاق، ولذلك فهن لم يمتنعن أصلاً أن يتزوجن رجالاً متزوجين، ولقد كان صمتهن في هذا الجدال حسناً، أمام عاصفة الغضب

من الجانب الرافض.

ثم خلص الكثير منهن إلى الرضا والموافقة على تعدد الزوجات، ولكن بشرط لمـــن لهـــن دوافع خاصة بهن، كالنساء اللواتي لا يجدن بداً من هذا الأمر، لأسباب كانت إقتصادية، كرغبتهن بالزواج بالأثرياء، أو غيرهن ممن يقبلن بالزواج برجال متزوجين وذلك لتخفيف الضغط عن كواهل عوائلهن الفقراء، أو إذا كان للموافقة والرضـــى شجون إجتماعية، كفوات قطار الزواج على بعضهن، أو أن بعضهن لم يعـــدن يطقن العيش في مظلة الأبوين، أو كن من المطلقات اللواتي قلما يجدن من يرغب الزواج بهن من الشباب العزاب، أو بعضهن ممن لم يجدن من يتقدم إليهن من الشباب العزاب الأكفاء، ربما لقصور أوضاع العزاب الإقتصادية، كما أن هناك من مـــن رضين بتعدد الزوجات، لأسباب نفسية أو عضوية لم يطقن من خلالها الصبر على تأخر زواجهن، أو غيرهن ممن يؤمنّ بالستر في ظل أيّ رجل كان، من منطلق المثل القائل: ظل رجل ولا ظل حائط.

ومـــن ثم إنفـــض مجلسهن بقنبلة، فجرها إحدى المشاركات، حين صرحت بقبول أن يكون لزوجها قفزات جنسية على مستوى الخليلة، خيراً لها من أن يتزوج بزوجة أخرى، على حد قولها.

وحيـــث أني هنا قد نقلت صورة عن فئة إجتماعية معينة من النساء في مدينة جـــدة خاصـــة، وفي الحجـــاز عامة، فهناك فئات إجتماعية أخرى تقابلها، ولكن بالتأكـــيد تخالفهـــا نظـــرتها ورأيهـــا في التعدد، فتجد عندها درجة القبول بتعدد الـــزوجات أكـــثر من هؤلاء، إلى درجة الرضى بالسكنى مع الزوجة الثانية والثالثة تحت سقف واحد، وفي شقة سكنية واحدة.

# مجموعة من النساء
# من عدة دول مختلفة

في الطـــرف الآخـــر من دول الخليج، اجتمعت نسوة من عدة دول مختلفة، شاركتهن نساء من دول مختلفة غير خليجية، وقد كان لقاؤهن هذا أكثر إثارة من إجـــتماع نســـاء جدة، السبب في ذلك أن الموضوع تناولته إحداهن بطريقة مثيرة ومســـتفزة للمشاعر أكثر، وقد كان هذا اللقاء مخصصاً لموضوع التعدد بالتحديد، ويكشف خفايا ومعاناة، لا تعلمها إلا النساء فيما بينهن:

فقالـــت السيدة سعاد، مديرة اللقاء، بعد الترحيب بالحاضرات وذكر مقدمة للحديث:

أيـــتها الأخـــوات الحاضرات، أريد أن أنقل لكن قصة إحدى قريباتي التي لم يـــنجح زواجها الأول، وهي الآن في بيت أهلها، وقد تقدم لها بعد طلاقها رجال كـــثيرون يخطبونها، إلا أنها إمتنعت عن القبول بأحدهم، كون هؤلاء كلهم كانوا مـــتزوجين، إلا عـــدداً قليلاً منهم، كانوا غير متزوجين، لم يكن بينهم أحد يوافق هواهـــا، حتى تقدم لها في آخر المطاف رجل متزوج، قد وجدت فيه كل الصفات التي تحبها في الرجل، إلا صفة واحدة قدرت أنها تُعيبه، وهي كونه رجل متزوج.

المطلـــوب من الحاضرات الشجاعة أولاً، ثم المشاركة والحديث بكل صراحة، لنصـــل بهـــذا المجلـــس إلى قناعة فيما يخص التعدد، والمطلوب كذلك أن تشاركنا بـــالذات الأخـــوات المتزوجات برجل متزوج، كزوجة أولى، أو يكنّ في الترتيب زوجة ثانية، أو أكثر.

فلدينا هنا تساؤلات كثيرة، في حاجة إلى إجابة مثل: هل تعاني المرأة كزوجة ثانية من إرتباطها برجل متزوج؟ هل زواج الزوج من زوجة ثانية، فيه ظلم للزوجة

الأولى؟ وبم نستطيع أن نفيد قريبتي في هذا الأمر، لتتخذ قراراً نهائياً فيه، هل ننصحها بالإقدام، أو نناشدها الإحجام؟

* وكأن السيدة سعاد أشعلت ناراً في موضع لم تكن ترسم له، فكن الغير متزوجات بزوج متعدد الزوجات أكثرهن إستفزازاً.

فقالت مها: ومن تجرؤ أن تكشف عن سرها، وتقول أنا زوجة ثانية؟ ألا تعلمين نظرة المجتمع الظالمة لها؟

فقالت هدى: والله إعذروني إن قلت لكن، أني أجد الزوجة الثانية متعدية على حق غيرها، وتقوم بالتخريب على الزوجة الأولى، وهي بزواجها به تفتح جرحاً لا يندمل، ثم تحاول فيما بعد تنسيه زوجته وأبناءه.

قالت جمرة: "إن الضرة مُرة "، أرجو أن لا أكون يوماً زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة، لأني أعرف كثيراً من الزوجات الأوليات، تم تهميشهن بسبب الثانية، وتعشن الآن أصناف القهر والعذاب النفسي والظلم، وأرى أنّ على المرأة أنْ تفكّر ألف ألف ألف مرة، قبل القبول بالزواج من رجل متزوج، أو تشترط عليه موافقة زوجته الأولى، إتقاء للمشاكل، ويجب عليها أن لا تصدق أعذار الرجل وإدعاءاته، حتى تقبل به زوجاً. وأرى أن خيراً للمرأة أن تترك ذلك بتاتاً، وتتقي المشاكل، فلا تتزوج إلا بزوج غير متزوج.

قالت لولوة: أنا لست زوجة ثانية، ولكني أعجب مما تقوله الأخوات، فأنا لا أجد أن الزواج بزوجة ثانية فيه ظلم للأولى، وإن حصل الظلم فالمتسبب الوحيد فيه هو الزوج، لأن الزوج يستطيع أن يسيطر على الأمور بكيفية لا يحصل من خلالها الظلم، وأنا لا أوافق الأخت مها، فليست الزوجة الثانية عار، حتى تخفي نفسها، وليست هي بأقل من الزوجة الأولى، فيجب أن نكون منصفات، وعندنا إحساس بالغيرة على نساء المسلمين، خاصة أن زمننا هذا كثرت فيه الفتن.

شاركت فادية من فورها وقالت: أنا لا أرى أن المرأة تقوم بجريمة، أو سلب حقوق الغير، عندما تقدم على الاقتران برجل متزوج، إن هذا يا أخوات شرع،

ولا يجــوز أن نقـــف ضده، وإني أعرف نساء تتمنّين أن يقوم أزواجهن بالزواج بغيرهن، مع شرط العَدل، وأعرف نساء أخريات تعشن حياة طبيعية في ظل التعدد، ولا تشـــتكين مـــن أي شيء، فالمسألة ليس فيها عيب ولا حرام، حتى ولو عانت الزوجة الأولى شيئاً ما.

عادت السيدة سعاد للحديث فقالت: أنا أؤيد كلاً من الأختين فادية ولولوة عـــلى رأيهما، ولا أوافق الأخوات الأخريات على رأيهن، فمجرد الزواج بأخرى لـــيس ظلماً، أو تعدٍّ على حق الغير، وقدوتنا سيد البشر أجمعين عليه أفضل الصلاة والتسليم، فهل من العدل أن تُحرم النساء ذوات الظروف الخاصة من الزواج برجل متزوج ترضين دينه وخلقه، ونحكم عليهن بالإعدام والموت قهراً، ونحرمهن من أن تصبحن أمهات وأن تعشن حياة طبيعية؟

أمـــا أنا والله لا أتمنى أن أكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة، لمجرد عبث زوج يخون العهد، فأرجو أن يكون في زماننا هذا رجال عادلون يخافون الله.

أرجو أن أكون بموضوعي هذا أشعلت فتيل حب، لا فتيل حرب.

هنا تجرأت حبيبة بالحديث وقالت: الحمد لله أنا زوجة ثانية، تزوجت وكان عمـــري إثنين وعشرين سنة من رجل لديه زوجة وولد، ووافقت الزواج به بكامل إرادتي معارضـــة كل من كانوا حولي، في الحقيقة لم أكن أعلم ما هو الدافع القوي الذي دفعني، إلا أني الآن سعيدة، لا أرى أبناءه السابقين إلا كأنهم أبنائي، وزوجته الأولى كأختي تماماً، وإني أحمد الله على ذلك.

قالـــت عالـــية: أنا لا أرى أن هناك شح في أعداد الرجال، فأكون مضطرة للـــزواج بـــرجل عنده زوجة أخرى، أرى لو أني قبلت بالزواج برجل لديه زوجة أخرى، أكون قد عملت على هدم بيت وسعادة أطفال، من أجل سعادتي.

قالت مريم: إني أعرف نساء عابدات مصليات، ولكن تقف عقولهن عند حد الزواج برجل لـــه زوجة أخرى، فيقلن "مائة خليلة ولا واحدة حليلة"، وأرى أنه مـــن المناسب في لقائنا هذا أن أرد عليهن، وأن أدعوهن لأن يحكّمن حكم الله في

أهوائهـــن، على أي حال أنا أرى أن الرجل لا يتزوج بأخرى، إلا إذا كان هناك نقص عند زوجته، أو خلل في حياته الزوجية.

قالـــت بحـــور: سأقول رأيي بكل صراحة، ما رأيكن في العانسات إذن، وأنا إحداهن، هل تحكمن عليّ وعليهن بالعنوسة إلى الأبد، وهل يبقين النساء عانسات أخـــيرَ لهـــن من أن يتزوجن برجال متزوجين؟ أنا كنت دائماً ضد الزواج برجل مـــتزوج، لكن يظهر لي أني في آخر المطاف سأتزوج بأيٍ كان وكفى، ولوتعلمون أن هناك بيوت كثيرة، فيها بنات كثيرات، يتمنعن عن الزواج ويتشرطن، ولا أرى إلا أن العنوسة أصبحت مصير أكثرهن.

ثم توالت النقاشات وتعددت، وكل واحدة قامت ترد على الأخرى، وتدافع عـــن رأيهـــا، حـــتى قامت فكرة القبول بالتعدد تأخذ غلبة على غيرها من الآراء الرافضة للزواج برجل متزوج، وأخذت فكرة القبول والرضى بأن يتزوج أزواجهن زوجات أخرى غيرهن إستحساناً، فأخذ النقاش يأخذ تحوّلاً طفيفاً.

فقالـــت إحداهن: ليست المشكلة في التعدد، بل المشكلة في الزوج الذي غالباً ما يظلم زوجته الأولى، بعد أن يتزوج بأخرى، وخاصة إن كانت الزوجة الجديدة تصـــغر عن الأولى بسنين كثيرة، فتأخذ لب الزوج وتطيّر عقله بها، فيهجر زوجته الأولى مـــدة طويلة عندما يتزوج بهذه الأخرى، ولا يصحو على نفسه إلا بعد أن تمضـــي شـــهور عدة يعود بعدها إلى الأولى، وإن الله قد نظّم عملية غياب الزوج، فأعطى للزوجة الجديدة البكر أسبوعاً، وأعطى الثيب ثلاثة أيام.

وقالـــت أخـــرى: صحيح، فالزوجة الأخرى غالباً ما تعين زوجها على ظلم الأولى، ثم إن كثيراً من الرجال يتزوج بأخرى من باب المغامرة والتسلية.

ثم قالـــت أخرى: قد لا تملك الزوجة الأولى رفض زواج زوجها بغيرها، إن عـــزم على الزواج، ولذلك أرى أن ترتّب الزوجة وضعها الجديد وتتفادى التصادم مـــع الـــزوج، ومع زوجته الجديدة بأن ترفض، على الأقل، السكن معها في بيت واحد، وإني لا أملك إلا أن أنصح الزوجة الجديدة بأن تكون عادلة وطيبة، وأن لا

تعين زوجها على الظلم، إن قام به أو عزم عليه.

ثم قالت أخرى: أرى أن الزواج بأخرى، يجب أن يكون من باب الضرورة، هذ ما أفهمه من الآية الكريمة: ﴿وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾، وأرى أن الرجال في حقيقتهم غير مخلصين، ولا تصدقن أن هناك رجلاً لا يشتهي التعدد، فهم يقومون به من باب تجديد الشباب أو ما شابهه. أما عن الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة فأرى أن لا تظلموهن، فهن لهن نفس الحق بالزواج كالزوجة الأولى، وليس هناك زوجة تحب أن يشاركها أحد زوجها، لكن هذه سنة الحياة، والزواج مودة ورحمة وليس حرباً، وأؤكد لكم أنه ليس من الضروري أن تستأثر الزوجة الثانية بالحب، فأنا أعرف رجالاً ما عرفوا قيمة زوجتهم الأولى إلا بعدما تزوجوا بأخرى، ومنهم من ندم وعاد وقام بتطليق الثانية. على العموم أرى أن المشكلة تكمن في الزوج، وعليه يجب أن يعلم الرجل أن الزوجة أمانة، ولم يوضع عرضها للمتعة فقط.

أضافت أخرى وقالت: أرى أن الرجل يجب أن يتمتع بشخصية قوية تمكنه من السيطرة على الأمور فيعدل، وأرى أن الزواج من قضاء الله على الإنسان كما قال أحد الشيوخ، وهناك رجال في الحقيقة يُشترون، لكنهم للأسف قليلون، أما عن نفسي فأصارحكم بشيء، لو كنت أعلم، لتزوجت برجل متزوج أحبه، خيراً لي من زواجي الحالي.

قفزت إحداهن وقالت: كفى بالله عليكن، والله أشعر أن الغيرة تقتلني، لمجرد أنكم تتحدثون عن هذا الأمر، فأنا أغار حتى من أم زوجي وأخته، فما بالكن بزوجة أخرى.

قالت أخرى: والله إن الرجال مثلنا طيبون، ويبحثون عن السعادة مثلنا، فلا تلمن أحدهم لم يجد السعادة مع زوجته الأولى فتزوج بأخرى، وهذا أخْير من أن يقضي حياته في نكد معها، وإن هناك كثيراً من النساء يستأهلن أن يتزوج أزواجهن بغيرهن، وإني أعرف نساءً، والله في حاجة للزواج، تبحثن بأنفسهن عن

رجل، حتى بين المتزوجين.

قالـــت أخرى: يا أخوات، والله ليس في أمر الزواج بأخرى ظلم لأحد، إلا عـــند الرجال الظالمين، ولوكان التعدد ظلماً، لما أحله الله وفعله رسوله محمد صلى الله علـــيه وســـلم والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وإني أعجب منكن، لماذا تنظرون للتعدد من وجهة نظر الزوجة الأولى فقط، ولا تنظرون إليه من وجهة نظر الـــزوجة الثانـــية أو الثالثة. أعرف نساء يقولون، أن أزواجهن لم يحسن معاملتهن وأخلاقهـــم معهـــن إلا عندما تزوجوا بأخرى، فاتقوا الله وأنصفوا الزوجة الثانية، فانتم تظلموها وتتكلمون عنها بغير واقعها.

قالـــت أخرى: يا ليتنا نجعل الله سبحانه وتعالى وتشريعه وكسب رضاه هو محور نقاشنا، وما نجعل الزوج هو أكبر همنا.

قالت أخرى: ما هو الأفضل بالله عليكم، زوجة ثانية للزوج؟ أو زوج يعشش في شـــقق الدعـــارة، ويســـافر بحثاً عن الساقطات؟ ويرجع لزوجته وأبنائه بأحد الأمراض الجنسية كالأيدز ؟ أجارنا الله وإياكم. أنا أرى أن تقبلوا بما قسمه الله لنا، والدنيا فانية وما تستاهل كل هذا التعنت والتشنج.

قالـــت أخـــرى: صحيح أننا نقبل بما قسمه الله لنا، ولكن الرجال أغلبهم لا يعدلـــون، أو لا يحسنون التعامل مع الزواج الثاني، فمجرد أن يتزوج الرجل تظهر المغامـــرات مع الزوجة الثانية، وتظهر ملذات الحياة والذهاب للمطاعم والمقاهي، والسفر إلى الخارج والرحلات، ويقوم بتحسين شكله وهيئته، وتزيين نفسه، وكل ذلك من أجل الزوجة الجديدة، أما الزوجة الأولى فتبقى محرومة من ذلك كله.

قالت نوال: يا أخوات، أرى من خلال النقاش أن الجميع متفق على التعدد، وأن لا بأس به، بالرغم من أنكن تخفن وتحذرن من ظلم الزوج وعدم العدل، لذلك أرى أن نقوم فندعوالرجال للقيام بالحقوق والواجبات التي عليهم، في نفس الوقت الذي ندعوهم فيه للتعدد ونشجعهم عليه.

ارتفعـــت أصـــوات النسوة، تحتج على ما قالته نوال، وترفضن أن يشجعوا

الـــرجال على الزواج، وإن كان لا بد من ذلك، فعلىالرجال أن يتزوجوا الأرملة والمطلقـــة من ذوات الظروف الخاصة وما شابه ذلك، ولكن إذا كان الزوج عنده زوجـــة جميلة وذات دلال وعيال، فهذا يكفيه، ومثل هذه الأفكار كثير، وحتى إن كـــن متفقات على التعدد كونه تشريع سماوي، وأنه قد يصب في صالح المرأة أكثر من الرجل، لكن يجب أن يكون لذلك ضوابط كثيرة، كالعدل، وتغيير نظرة المجتمع للـــزوجة الثانـــية، وتغيير نظرهم للزوجة الأولى، وعدم إتهامها أنها هي السبب في خـــروج زوجها من بيته، ويذهب للزواج بغيرها، وكذلك تصحيح مفاهيم كثيرة عـــند المجـــتمع حتى لا يجد النساء حرجاً من الزواج برجل متزوج، ولا يجد النساء حرجاً أمام المجتمع أن يذهب أزواجهن للزواج بغيرهن.

عـــلى أي حال، إنفض النقاش بعد ساعات طوال، وكل واحدة منهن كانت تعضـــد كلامهـــا ببعض القصص الواقعية، وقد خلصت أكثرهن إلى أنّهن لا يرون بأساً لقريبة السيدة سعاد أن تتزوج رجلاً متزوجاً، إن كانت قد وجدت في صفاته وشخصـــيته الـــرجل الذي تبحث عنه وتتمناه، فالعبرة بالرجل، كما قالوا، وليس بواقع حاله.

## موقف النساء الغربيات من التعدد

أمـــا في الغـــرب، فقبل أن أحدثكم عما يدور في الغرب، وقبل أن أنقل إلى القارىء وقائع أحد إجتماعات النساء لديهم، عندما كن يتحدثن عن تعدد النساء، فإني سألقي الضوء أولاً للقارىء عن وضع النساء الإجتماعي هناك، وعن علاقتهن بالرجال.

علاقة الرجل بالمرأة، وعلاقة المرأة بالرجل في الغرب، تختلف تماماً عما هو في البلاد العربية والإسلامية، قانوناً وعرفاً وتقليداً، فالإرتباط الزوجي بخلاف المسلمين هـــو من المسائل الثانوية، التي قد يُغني عنها إرتباط الأخلاء عندهم ( الصواحب )،

الذيـــن يمارسون الحياة الزوجية بكافة مستلزماتها، دون أن يكون بين المرأة والرجل إرتباط رسمي في هيئة عقد زواج.

تبدأ قصة المرأة في الغرب، من الوقت الذي تصبح فيه فتاة، تشرف على بلوغ ســن الرشد، وفي العادة تكون الفتاة قد تلقت من الأفكار والمفاهيم الإجتماعية ما يكفـــي، لـــتعي موقعها في المجتمع، وما لها وما عليها من حقوق، وخاصة حقوقها الشخصـــية، من الملبس والمأكل والمشرب، والعلاقات الشخصية بالرجال والنساء والأبويـــن والأقـــارب، وغير تلك الأمور التي قد لا تهمنا هنا، وما يهمنا هنا هو العلاقات الإجتماعية، وخاصة العاطفية منها والنفسية والجنسية.

القـــانون والأعـــراف والتقاليد تحمي حقوق المرأة الشخصية منذ سن الرشد وقبله، والتي تستند على الحرية المطلقة، فيما يتعلق بكل علاقاتها العاطفية والجنسية، دون قيود أو أوامر أو نواهي تقف أمام إرادتها، لممارسة أي نوع من العلاقات، مع أي أحدٍ من الرجال يستهويها، أو مع أي أحد من زملائها التلاميذ، في المدرسة أو خارجها.

تبدأ رحلة الفتاة في هذه السن المبكرة جداً، وهي في صفوف الدراسة، والتي تكـــاد تكون مرسومة لها من مجتمعها، ومن خلال تأثير الفتيات الأخريات عليها، فـــتقوم الفتاة من منطلق إثبات الذات من جهة، وإشباع الحاجة العاطفية والجنسية من جهة أخرى، بتكوين أول علاقة عاطفية وجنسية مع أحدهم، لتكون هذه هي تجربتها الأولى، التي تقع من خلالها في الحب والغرام.

تـــبقى هـــذه التجربة في الحقيقة لها قداستها عند الفتاة، ومحفورة في ذاكرتها، وتتغنى بها في كبرها، وتهيم بالحبيب الأول في خيالها، فالفتاة في هذه التجربة الأولى عـــادة مـــا تستحضـــر كل مشاعرها وكل أحاسيسها والعاطفة لديها، وتقدمها للحبيب، بكل سخاء وبدون خوف، أو قيود أو شروط.

إلا أن هـــذه العلاقـــة، تغمـــرها الأحلام ويغمرها الهو ى، بعيداً عن الواقع، ولذلـــك فمن النادر جداً لهذه العلاقة أن تبقى قائمة، أو تستمر عند هؤلاء الفتيان

إلى مـــرحلة النضوج، كونها بعيدة عن الواقع ومتطلبات الحياة الواقعية، فضلاً على أن الفـــتاة وحبيبها، لم يرتبطا أساساً ليكونا حبيبي العمر، أو رفيقي درب الحياة، بل همـــا على علم ودراية، أنهما ليس لديهما مقومات الإرتباط الدائم، من مسكن أو مـــال أو عمـــل أو علم، أو معرفة بكيفية التوافق، أو لمواجهة عواصف إختلاف الرأي، فلا يلبثان بعد أيام أو أسابيع أن يتفرقا، تحت أول صدمة نفسية تتعرض لها الفتاة غالباً.

ولكـــن حـــلاوة المغامـــرة والتجربة والمتعة الجنسية، ومن خلال نفس التأثير الإجتماعي السابق، تندفع الفتاة فيما بعد لعلاقة عاطفية أو جنسية جديدة، تحيطها حلاوة الحرية، وعدم الإرتباط والإلتزام.

تـــبقى الفـــتاة على هذا الحال، تتنقل من فتى لآخر سنيناً، كما يحلو لها، حتى تـــبلغ مـــرحلة النضوج من عشرينيات العمر، التي تجد نفسها فيها، بحكم الفطرة، تتوق إلى الإستقرار، والحصول على الأبناء.

وبعـــد الإســـتقرار الوظيفي خاصة، تبدأ الفتاة بتغيير وجهة نظرها، للإرتباط بخلـــيل ( صـــاحب ) دائـــم، تصنع معه حياة تحظى بالإستقرار وبالأبناء، فإذا ما وجدت ذلك الخليل، الذي يوافقها وجهة النظر هذه، تبدأ معه في صنع تلك الحياة، وبعـــد مـــرور عدد من الشهو ر أو السنين من الحياة تحت سقف واحد، وبعد أن تكـــون علاقتهما قد تعززت بالحصول على أحد أو عدد من الأطفال، يعزما على الزواج والإرتباط الرسمي الدائم.

بهذه العقلية وبهذه النفسية، التي لا بد للقارىء من معرفتها، اجتمعت النسوة مـــن الغربيات، كما ذكرنا، يتجادلن في موضوع تعدد النساء للرجل، وليس تعدد الزوجات، لأن تعدد الزوجات في بلدانهن ممنوع نظاماً، وقد كان في هذا اللقاء من بين النساء نسوة متزوجات، وكان من بينهن كذلك من الخليلات ( أي صاحبات لـــرجال يعـــزمون الـــزواج بهن )، وأخريات كن مجرد صويحبات لرجال عندهم زوجـــات أو خلـــيلات، والمـــثير في الأمـــر، أن كان من بين الحاضرات كذلك

صويحبات في الخفاء لبعض أزواج الحاضرات.

وبــدأ الجــدال في هــذا اللقاء من هذه الأطراف المتعددة، منصباً على تعدد الصــديقات والخليلات. وبدأ الحديث يكتنفه البرود في الجدال، كما هو معتاد في الغرب، فتحدثت الصديقات أو الزوجات الأوائل في أمر تعدد النساء، واعتبرن أن مــا يفعله الرجال في حقهن خيانة لهن، لو قاموا بالتعرف على غيرهن أو الإرتباط بغيرهــن إبــتداءً، ولكن بعد فترة من الجدال، أكدن أن في الأمر نظر، إذا لم يقم رجــالهن بالــتفكير في هجرهن، لغرض الإرتباط بغيرهن. وفي الأمر نظر كذلك، لوكــان ذلك مجرد قفزات جانبية، كما يسمونها، أو مجرد نزوات شخصية، يرجع الرجل عنها فيما بعد.

نجــد أن النسوة الحاضرات، تؤمن أن كل الرجال لهم لحظات ضعف، يجب غض الطرف عنها من النساء، ولا تستطيع أي إمرأة أن تَحُول دون أفعال الرجال، ولــذا فإنه ليس من الحكمة أن تهدم المرأة علاقتها بزوجها أو خليلها، لسبب عابر كهذا أو غيره، فقد يكون السكوت عن بعض الشر، أقطع للشر كله.

ومــن ثم إنــتقل الحديــث إلى النســاء الصــواحب عن فعل الرجل بتعدد الصــديقات، وصرحن أن ذلك مقبول عندهن، ولا يرون به بأساً، فهن في الأصل صــديقات لــرجل متعدد الصديقات، ولذلك فهن لا يأبهن لهذا الأمر مطلقاً، وأن إهــتمامهن إنما ينصب على أنفسهن ومتعتها، وعلى علاقتهن الصادقة مع الرجل، وينصب إهتمامهن على شخصية الرجل الفذة، أو على أدبه ولطفه، أو حسنه.

وأضــفن: إنــه مــن المهم عندهن أن تجد المرأة صديقاً بالصفات التي تراها مناســبة، وذكرن صراحة، أن التصاحب برجل لــه صاحبة أخرى أو أكثر، لــه فائدة عظمى، لأن ذلك يعطيهن مساحة أكبر، من الحركة والحرية وعدم الإلتزام.

ولقــد وجــد هــذا الرأي قبولاً عند الحاضرات، وذكرن، انه لا فائدة من التعصــب والتشــنج لهذا الأمر، فكثير من النساء، كما قلن، سعيدات مع رجال لطيفين ومحترمين، وذوي خلق جيد، ولكنهم مرتبطين بزوجة أو بخليلة ( صاحبة )

أخـــرى، وقلن صراحة، أن أكثرهن يعلم، أن الرجال يسافرون منفردين إلى أعمال لهـــم في الخـــارج، أو إلى إجازات سياحية بإتفاق مع زوجاقم، وكلهن يعلمن أن أزواجهـــم يقومـــون بكـــل أنواع المتع في السفر، بما فيها كما يسموها"القفزات الجانبـــية "، أي العلاقـــات الجنسية لليوم الواحد أو أكثر، فقامت إحداهن وقالت صـــراحة، أنهـــا علمت، بل وقبلت بخليلة زوجها ورضيت بها، حتى أنها تصطحبها معها أحياناً في المناسبات، من منطلق التفهم لحاجة زوجها، ومن باب الحل الوسط بينها وبينه.

بعدهـــا وقبل أن ينفض اللقاء، بين هؤلاء النسوة، حدث ما يحصل دائماً في نهايـــة النقاشات الغربية، وهو الخلوص إلى قاعدة الحل الوسط، وأن الأحكام على الأشياء بطبيعتها دائماً ليست جازمة أو قطعية، وإنما هي نسبية، فلا يوجد في الحياة ما هو صحيح على الإطلاق، أو خطأ على الإطلاق، ولذا فليتخير المرء لنفسه حلاً وســـطاً، لا يُضيع ما بيديه، ولا يطلب ما لا يقدر عليه، حتى ولو تنازل عن أمور، قـــد تعتبرها الفطرة غير مقبولة، كالغيرة مثلاً، فكما أن الرجل لديه قفزات جانبية، فهن كذلك لديهن قفزات جانبية أحياناً، ثم انفض اللقاء.

وهـــنا نخلص إلى حقيقة أننا لا نجد موقفاً نسائياً موحداً للنساء المسلمات أو الغربـــيات، مع فارق التشبيه بينهن، بالقبول أو بالرفض، ولا نجد وحدة رأي عن تعدد الزوجات عند المسلمات، أو تعدد الصديقات عند الغربيات.

وألفت نظر القارىء هنا، إلى أني لا أتعرض للموقف المبدئي من هذه القضية، ولا أذكـــر رأيي الشخصي فيه، وإنما أنقل هنا صوراً من الواقع الحالي، وآراءً عن ألسن أصحابها.

# موقف الرجال في العالم العربي والإسلامي من التعدد

قبل أن أنقل إلى القارىء أحد النقاشات عن تعدد الزوجات، في مجلس من مجالس الرجال، أحب أن أسلط الضوء على حال الشباب المسلم الإجتماعي، في البلاد العربية خاصة والبلدان الإسلامية عامة.

تبدأ رحلة الشاب العربي المسلم وهو فتىً، أي قبل أن يصل مرحلة البلوغ، وذلك بدءاً من الوقت الذي يشعر فيه بالميل الجنسي الحقيقي، كبصمة للرجولة، وهي الفترة التي طالما تمناها وحلم ببلوغها، أن يرقى فيها إلى درجة الرجال، إلا أن شعور الميل هذا يشغل الفتى كثيراً، ويقلقه أحياناً، ويُكثر عليه تساؤلاته المخفية، وتُكثر عليه أسراره، وتحيّره في كيفية التعامل بهذا الميل الجنسي ومعه.

ومن هنا تبدأ الأفكار والمشاعر عند الفتى، تتوارد عليه متتابعة، يدفعها إحساسه بالتأثير الجنسي العضوي، في أوقات مختلفة من النهار والليل، بوجود مؤثر أو بعدمه، فضلاً عما يسمعه من زملائه في المدرسة والشارع عن العلاقات الجنسية بين الأزواج أو غيرهم، التي تتحدث عن نفس هذا الشيء الذي يعتمر جسده ونفسه.

إضافة إلى ذلك، يقوم كثير من الفتيان بالتعامل مع هذه المسألة، ومعالجة هذا الميل بتبادل الصور والأفلام الجنسية، ومواقع الأنترنت الإباحية مما يدفع ذلك كله الفتى إلى إشغال فكره أكثر عن هذا الإحساس الذي يخفيه، ويزيده خوفاً وحياءً أن يبوح به لأحد، أو أن يتهمه أحدهم بسوء الأدب أو الدين.

ومن هنا ينطلق إنشغال الفتى بأمر طبيعي في نفسه، ومُنكراً لو أسمعه لأحد غيره.

يــبقى عـــلى ذلك، حتى ينتقل إلى صفوف دراسية أعلى، يلتقي فيها بشباب دخلـــوا في مرحلة البلوغ مثله، ويجدهم يتحدثون عن الأمور الجنسية، بشكل أكثر تفصـــيلاً وأوضح لفظاً، ولا أخفي أن ذلك يستهوي الشاب البالغ، لأن ذلك يمس مـــا يشـــعر أنه بحاجة إليه، فتبدأ الأحاديث عن الفتيات مع من يكبره من زملائه، ويبدأ يرى الواقع العملي لدوافع الميول الجنسية هذه، وكيفية إشباعها وأين.

ومـــن هنا تبدأ معاناة الفتى الذي بلغ سن الرشد والتكليف، طاقة جنسية وطاقة عضلية، وطاقة عاطفية، ولكن غير معترف بها تربوياً أو إجتماعياً، فيبقى لا يجـــد لهـــا تصريفاً، إلا أن يدُلّه أحد أقرانه إلى العادة السرية كما يسمونها، أضف إليها معاناته الجديدة بفصله عن النساء، ومعاناته من شعوره حذر الناس منه، كمقترف إثماً في حقهم.

وتستمر رحلة هذا الفتى وهو يمشي بين الناس الرجال فقط، يحمل في طياته ما لا يقدر أن يحدث به إلا أقرانه، الذين لا يجد عند أحدهم حلاً لمعاناته، إلا التوجيه إلى ممارسة العلاقات العاطفية والجنسية، مع أحد من الفتيات الأجنبيات، عن طريق الـــتعارف المخفي، في الأسواق أو في أي أماكن عامة أخرى، حتى هذا الأمر قد لا يجد في نفسه القدرة عليه، فهو يتطلب الجرأة الكافية والإقدام، ومسائل أخرى.

يكـــبر هذا الفتى ليصبح شاباً، في صورة رجل كبير، ذي جسم ضخم ولحية وشاربين، وهو ما زال تلميذاً في مدرسة، وطفلاً عند أبويه، ورجلاً في داخل نفسه غير معترَف به، ولا تجد البالغ هذا يُوقف حديثه يوماً عن مستقبله، وما ترسم لـــه الأيـــام، وقـــلما تجد عند من يحدثهم أنهم ينظرون إليه نظرة الرجل المؤهل، لحياة زوجـــية أو عاطفـــية، غير سماع بعض الدعوات من أمه، وهي تتمنى أن تراه يوماً رجـــلاً، يـــتزوج بأحلى فتاة، وينجب أجمل الأبناء لتفرح بهم، بل يجد الأحاديث الموجهـــة إلـــيه مـــن والديه تتجاوز الحديث عن الحاضر، وتتجاهله بالحديث عن المســـتقبل البعـــيد، ومقتصرة على إتمام الدراسة الثانوية ومن ثم الجامعية، ومن ثم الحصـــول على الوظيفة، ومن ثم التخطيط لبناء عش الزوجية، ومن ثم، ومن ثم،،،

دون أن يـــدرك محدثـــوه ما يعتمر في قلبه وفي نفسه، وفي أعضائه من حاجة وميل جنســـي وعاطفي، فيفهم من خلال هذه الأحاديث بهذه الكيفية، أنه يجب عليه أن يكبت كل هذه المشاعر والأحاسيس، حتى تمضي سنين وهو باق على هذا الحال، ليأتي اليوم الذي يتزوج فيه، بالكيفية التي رسمها لـــه المجتمع، و لم يرسم فيها لنفسه منها شيئاً.

يـــبقى الشـــاب عـــلى هذا الحال سنيناً، وعن أي شاب نتحدث؟ عن الذي استطاع أن يكبت كل هذه الطاقات لديه حتى الأجل الغير مسمى، أم عن الشاب الـــذي لم يقدر على كبتها، وقام بتصريفها متنقلاً بين فتيات مجتمعه، يتبادل معهن علاقات غير منضبطة بضابط، ومعلومة أو غير معلومة الأبعاد.

ولـــذا فـــإنك تجـــد في مجـــالس الشباب الكبار من الجامعيين أو حتى بعض المتخرجين منها، الشعور بالحسرة والقهر والغبن، فهم بعد كل هذه السنين، التي لم يشبعوا فيها ميلهم الجنسي الطبيعي بشكل طبيعي، لم يصلوا بعد إلى الكفاية المادية للقيام بأعباء الزواج أساساً، حتى أنك تجد بعضهم قد أصابه اليأس، أو حتى الرفض لفكـــرة الـــزواج، بالكيفـــية الإجتماعية الحالية بأعبائها، حتى وإن وصل إلى حد الكفايـــة، وإننا لنجد كثيراً منهم، قد استمرأ الحرية في العلاقات العاطفية والجنسية الغير مشروعة، إلى حد المفاخرة بالمغامرات الجنسية وما يتعلق بها، مع أصدقائه ومن يجالسونه.

ولقـــد إلتقيـــت بـــأحد الشباب في أحد البنوك وهو في موقع وظيفي جيد، ويـــرفض الزواج، مع وجود الكفاية لديه، قائلاً لقد قمت بتوفير مائتي ألف ريال، جهـــد عدد من السنين، وأنا أشفق عليها الآن أن تطير في مصاريف الزواج وحفل الزفاف.

أما كيف يقوم هذا الشاب بإشباع ميله الجنسي؟ فقد خجلت أن أسأله.

هذا هو الواقع الحالي لشباب العرب والمسلمين في كافة البلاد، قد يكون هذا الحال بالكيفية التي وصفت في بلد ما، مختلفاً عن بلد آخر، ولكن المضمون عندهم

جميعاً في حقيقته واحد.

بهذه العقلية والنفسية، شارك هؤلاء الشباب في اللقاء الذي قامت به مجموعة مـــن الرجال، يتجادلون فيه عن تعدد الزوجات، وقد كان من بين الحاضرين نسبة كـــبيرة مـــنهم، ممن لم يذوقوا طعم الحياة الزوجية يوماً، و لم يعرفوها كما ذكرنا، وآخرون من الحاضرين كانوا من الشباب المتزوجين، ممن كان أهاليهم من الأغنياء، وأعـــانوهم على الزواج وتكاليفه في سن مبكرة ( في العشرينيات )، وغيرهم من المـــتزوجين ممـــن كانوا يطمحون بالزواج للمرة الثانية أو الثالثة، ومن الحاضرين آخرون ممن كانوا متعددي الزوجات.

بدأ الجدال في تعدد الزوجات تحت إبتسامة تهكمية من الشباب العزاب، كما خبرنا أمرهم، وعلمنا ما يدور في خاطرهم، فهم لم يتمكنوا من الزواج، فضلاً عن أن يشاركوا في نقاشٍ عن تعدد الزوجات، فجلسوا منصتين، كجلوس الكرام على مائدة اللئام.

أما الشباب المتزوجون من المشاركين، فهم في الغالب ينتمون إلى عوائل كما ذكـــرنا من الأغنياء، والحديث عن تعدد الزوجات عندهم، بمثابة الذي يجلس على مـــائدة مـــن أشـــهى الأطعمة، ويمنعهم الشبع من تناول شيء منها، ولذا تجدهم يستمعون لحديث تعدد الزوجات من باب الترف، ومن منظار جنسي.

أمـــا أغلب المتزوجين الحاضرين، فكانوا يتحدثون عن تعدد الزوجات وعن النساء، وترى اللعاب يسيل من أفواههم، وترى في أعينهم عزمهم عليه، ويتحينون الفـــرص له، ويذكرون أمانيهم بالزواج بفتيات صغار السن شقراوات أو حمراوات أو سمـــراوات، رشيقات أو بدينات، مقارنة بزوجاتهم اللاتي أفسد قوامهن وهيأتهن الدهـــر، ثم أخـــذ المجلس طابع سوق الحريم، أو سوق النخاسة. إلا أن بعضهم لم يُخـــف خوفه من زوجته ومن نكدها إن قام بالزواج، والبعض الآخر أبدى تذمره من التكاليف التي يتبعها هذا الفعل، والتي تحول بينه وبين عزيمته.

أما بعض المتزوجين، فقد كان رأيهم أن يبتعد الجميع عن فكرة مضنية كهذه،

ومـــن أراد التعدد فليعدد الصويحبات ويرتاح، أو ليسافر إلى أي بلد أجنبي ويأخذ نصيباً من المتعة، التي ليس من ورائها تعب ولا نصب، كما هو في تعدد الزوجات.

ثم إنتقل الحديث إلى متعددي الزوجات الذين إتخذوا جانباً من المجلس، ينبىء عـــن شـــعورهم بالهيـــبة والسلطان والمتعة، وشعوراً بالباشوية، كونهم قد حققوا لأنفســـهم بتعدد الزوجات ما لم يحظ به كثير من الرجال، فضلاً عن الوجاهة التي يشـــعرون فيها بفحولتهم تجاه أقرانهم. و لم يكن حديث هؤلاء الأخيرين خيراً ممن كان قبلهم، فهم ينظرون إلى التعدد نظرة جنسية، تكاد تكون مطلقة.

ولكني هنا لا أتهم جميع متعددي الزوجات بما ذكرت، وإنما أنقل ما يدور في مجالس الرجال، فيما يتعلق بهذا الأمر، فهناك من أخذت ظروف معينة بناصيته لأن يكون لـــه أكثر من زوجة، وهو في الحقيقة لم يكن يعدّ لهذا الأمر يوماً عدةً.

فقـــد ذكـــر أحدهم أنه كانت لـــه زوجة واحدة راضياً بها، و لم يفكر يوماً بالـــزواج بغيرهـــا، وفي يـــوم من الأيام إختلف مع زوجته، إبنة خاله، وأدى هذا الإخـــتلاف إلى أن تذهـــب الزوجة لزيارة أبيها، ثم قررت عدم العودة إليه، وبعد شـــهور من المحاولات للصلح معها، أبت الرجوع لبيتها، حتى يأس من ذلك، فقرر الـــزواج بغيرهـــا وتـــزوج، فأثار هذا حفيظتها وغيرتها بشدة، فقررت الصلح مع زوجهـــا والعودة إلى بيتها، فقبل هو بذلك، ولكن تحت رفضه التخلي عن زوجه الجديـــدة، فقبلـــت ثم رجعت وسكنت مع زوجها والزوجة الجديدة، تحت سقف واحد وفي بيته الصغير، تحت ظروف وأحوال جديدة.

ولا يخفـــى أن مـــتعددي الـــزوجات عادة من الميسورين، الذين قد تجاوزت أعمارهم غالباً الأربعين من العمر، بحكم الكفاءة المادية ولأسباب أخرى سنذكرها لاحقاً، و لم يُخفِ هؤلاء حقيقة أن لهم الرغبة في الزواج، إضافة إلى ما عندهم من زوجات.

إلا أني وجدت أن أغلب هؤلاء من متعددي الزوجات أو الراغبين في التعدد، لا يـــرون صـــحة العلاقـــات الغير شرعية، ويرفضونها ظاهراً وباطناً، بالرغم من

الإنفتاح المريع، ويجدون أن من لـــه رغبة في الإرتباط بإمرأة أخرى، عليه بالزواج الشرعي، وإتخاذ طريق الستر.

إلا أني لم أجد في هذا اللقاء كغيره من مجالس الرجال، الحديث عن التعدد من مـــنطلق فكري أو إنساني أو تربوي من أحدهم، كالحديث مثلاً عن ضرورته، أو المـــيل إلى الـــتكاثر لصنع أبناء متميزين، أو غاية الستر على النساء اللواتي لا يجدن أزواجاً، أو ما شابه هذه التوجهات.

وقد عجبت من أمرٍ في هذا اللقاء، أنه لم يقم أحدهم بسؤال الحاضرين، لماذا يميل الرجل إلى تعدد النساء ويرغب فيه. فكأن الأمر مسلّم به عند الرجال، بسبب أو بدون سبب.

## حديث أحد المجالس المختلطة من النساء والرجال

أمـــا لمـــاذا يمـــيل الرجل إلى تعدد النساء؟ ولماذا يرغب فيه، ويقوم به؟ فهذا السؤال في المجالس المختلطة العامة أو الخاصة من النساء والرجال، تجده يُطرح بقوة مـــن النساء على الرجال، حيث يحتدم الجدال في مثل هذه المجالس عادة، لحصول المواجهـــة المباشرة، ولأن الرجال لا يجدون جواباً وافياً ومقنعاً عن سبب إقدامهم بالتعدد، أو على الأقل سبب رغبتهم المخفية أو المعلنة إليه.

ففـــي مجلســـنا هذا المختلط، طرحت شابة يافعة جميلة معتدة بنفسها، حديثة الزواج مغيظةً، سؤالاً جدلياً للحاضرين، وجهته للرجال بجرأة، وكأنها كانت تخفي خوفاً من زوجها أن يقدم على الزواج بأخرى، فقالت:

- ولمـــاذا لا نقـــوم نحن النساء بتعدد الرجال؟ لماذا يقتصر الأمر عليكم أيها الـــرجال؟ هـــل حاجتكم الجنسية أكثر منا حتى تقومون أنتم بالتعدد، ولا نقوم به

نحن؟.

فقامت إحدى السيدات الكبار بهدوء ووقار، قائلة لها:

- إن الله فـــرض علينـــا ذلك، ويجب علينا أن نقبل به تسليماً، وهذا ديننا، وهذه عقيدتنا، ويجب أن نقبل بهذا الدين بحلوه ومُرّه يا إبنتي.

ردت عليها الشابة من فورها قائلة:

- ولكـــن الله لم يجعل ذلك من باب الإلزام، فللرجل أن يُقدم على التعدد أو يُحجم عنه، ولا أرى أن الرجل في حاجة إليه إذا وجد إمرأة جميلة، كاملة، عاقلة، ربـــة منزل جيدة ( ست بيت ! )، ووجد عندها كل ما يرضيه. فلماذا إذن البطر؟ وعدم شكر النعمة؟

وكـــأن حديث هذه الشابة لامس هوى كثيرٍ من الحاضرات، فقالت إحداهن متعجلة تُسمع زوجها المتزوج بأخرى:

- صحيح، لماذا يتزوج فعلاً؟ والله إنه ظلم للزوجة، وخاصة أن الزوجة تكون قـــد قضـــت معه سنين كثيرة، وقدمت لـــه أفضل الأبناء، وتتعب كثيراً في القيام بمســـؤوليات البيـــت؟ صحيح إن الرجل غير ملزم بالزواج، وهذا قراره في الأول والآخـــر، وهـــو مسؤول عنه وليس الدين. وقامت تعدد مناقبها منفعلةً، حتى أن دمعها سال على خديها.

فقال أحد الرجال الحاضرين:

- إن الله سمح بهذا الأمر، ويجب على المرأة القبول به وكفى.

فقالت أخرى من فورها:

- عجباً لكم أيها الرجال، أو لم تجدوا في الدين إلا هذا الأمر، تحرصون على تطبيقه، من بين أحكام أخرى كثيرة؟

فقال أحد الرجال ضاحكاً:

- أنتم النساء تريدون منا أن نطبّق الأحكام التي توافق هواكن، ولا تقبلون بما

لا يوافقه. والتعدد أمر طبيعي، على الزوجة القبول به، وتسمع وتطيع وترضى.

فقالت من فورها:

- لا، إن هذا أمر غير طبيعي، إنها أنانية من الرجل، وحب للنساء وحركات الحريم، فلماذا لا يصبر الزوج على زوجته، ويكتفي منها بحاجته، ويحفظ ماله وبيته وأبناءه؟

فقال الرجل:

- إن التعدد لا يمنع من أن يؤدي الرجل واجباته تجاه أهل بيته، ولا يمنع هذا ذاك.

فقال أحد الرجال ممازحاً وملطفاً لجوالنقاش، وزوجه (ترمقه) وهي تزجره بنظراتها:

- والله إني أتمنى الزواج بأخرى، لكن عندي زوجة شريرة تمنعني، وإلا كنت تزوجت بنانسي عجرم، أو هيفاء وهبي.

ثم أخذت دائرة الجدال تتسع، والأصوات ترتفع، وحصل هرج ومرج، حتى انفض الجدال، وانتقل الموضوع لغيره، دون أن يصل الحاضرون والحاضرات إلى أجوبة مقنعة تحسم الأمر، وتفض النزاع.

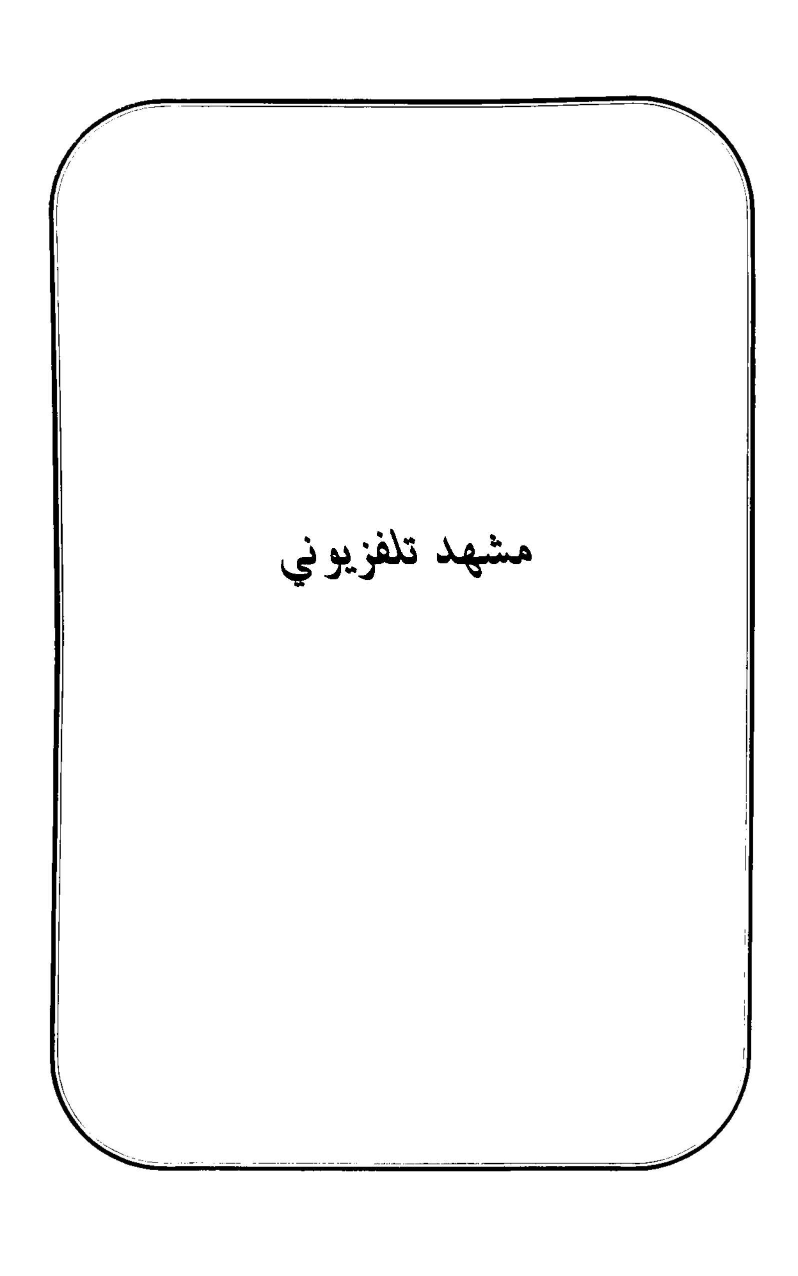
## موقف الرجال الغربيين الغير مسلمين من تعدد النساء

لم أجد في مجالس الرجال الغربيين يوماً موقفاً رافضاً لمسألة تعدد النساء، ولا أقول تعدد الزوجات، فكما قلنا أن النظام عندهم لا يسمح بهذا الأمر، فلذلك يقتصر الحديث في مجالس الرجال عندهم على تعدد النساء، في صورة الصاحبات، أو الخليلات، أو سمّها ما شئت.

فالرجل الغربي لا يرى بداً من التنقل بين أحضان النساء، كيفما يحلو له ذلك، وكـــيفما أتاحت لــــه الفرص لذلك، من منطلق أنه يعيش تحت مظلة نظام، يتيح لــــه بل يحمي حريته الشخصية، وهذا الأمر من الحرية الشخصية، طالما أنه لم يتعدَّ بالقوة، ولم يعتدِ على حرية أحد من النساء.

فالـــنظام وكذلك العرف يتيح للرجال تعدد النساء أو دونه، طالما أهم يجدون نساء يرتضين الإرتباط هم عاطفياً أو جنسياً، فليس هناك حسيب عليهم، أو رقيب يمنعهم منه، بل هو أمر مُسلّم به.

عـــلى العموم فإن مسألة التنقل بأي كيفية كانت بين الصويحبات والنساء أياً كنّ، وكيفما كنّ، متزوجات أو عازبات أو غير ذلك، فذلك أمر طبيعي جداً، ولا تجـــد للتـــنقل رافضاً أو ذاماً بين الرجال منهم، بل إن ذلك في نظرهم غاية المتعة ومنتهى النعيم، وإن من جهل الرجل وقلة فطنته عدم الإستفادة من هذه المتعة، بل لقد وجدت قفزة اليوم الواحد الجنسية "كما يسمونها"، رواجاً عند حوالي أكثر من ستين في المائة منهم.



# مشهد تلفزيوني

إستحضـــرت الكـــاميرا مشهداً رائعاً لزوجة مع زوجها وأبنائها، على طاولة طعـــام فاخرة، في مترل يكاد يُسمى فاخراً، ينبيء للمشاهد عن عائلة سعيدة وبيت ســـعيد. عـــبّرت عن هذه السعادة ألوان جدران هذا البيت المبهجة، الذي زاد في بهجتها وزهاها الأضواءً القوية المسلطة عليها، والموزعة توزيعاً فنياً.

يُـــتحف طاولة الطعام هذه، عدد من الشموع الحمراء الطويلة، على مفرش أبـــيض اللون يغطيها، تتوسط الشموعُ أطباقاً زاهية الألوان، وأوعية ممتلئة بأشهى أنـــواع الطعام، لتلقي على أطراف هذه الأوعية والأطباق لون النار الدافئ، فتزداد الأطـــباق والأطعمـــة بهجة، فضلاً عن بعض من الورود الرقيقة، التي تضفي على المشهد هذا آخر لمسات الفنان للوحته الفنية الفريدة.

تجلـــس الـــزوجة إلى يمين الزوج الذي يتصدر الطاولة، وقد عقد منديلاً على صـــدره، لحماية ملابسه من فضلات قد تسقط عليها أثناء الطعام، وكذا فعل أفراد العائلـــة الباقون من الأبناء. كانت الزوجة في أبهى زينتها كأنها في حفل عرس، أو إحدى الحفلات النسائية التي تتنافس النساء فيها عادة على حسن المظهر، وكانت هـــذه الـــزوجة قـــد قفزت فوق حاجز الأربعين ربيعاً، وهي ترى في نفسها المرأة الأجمل والأكمل من بين النساء، كما توحي الكاميرا ذلك للمشاهد.

أخـــذ المشـــهد التلفزيوني في العرض، تحت موسيقى رقيقة في الخلف، أعدها مهـــندس الصوت ليكون المقطع شاعرياً، ومتناغماً مع هذا الجوالعائلي البديع، ومع هذا المجلس الذي قلّما تجد شبيهه بين العوائل العربية، ما عدا العوائل التي قد أخذت كمّاً دسماً من الثقافة وطريقة العيش الغربية، أو كان المنظر بهذه الكيفية مما أوحى به خيال الكاتب إليه أو المخرج، أن هذا المشهد هو صورة كمالية لعائلة مثالية، وبيت مـــثالي، فالغـــرب أنفسهم قلما تجد هذه الطقوس عندهم في كيفية الطعام والمجلس للطعام، إلا ما تراه في فنادق الخمس نجوم.

إلا أن المخرج التقليدي يلجأ أحياناً إلى المبالغة في تصوير الأشياء، حتى يبرزها ويلفت النظر إليها ما إستطاع، على أي حال الفكرة قد وصلت، عائلة سعيدة، في مجلس سعيد، وأبناء أصحاء، وزوج قد قُدرت لــه كل أسباب السعادة والطمأنينة مــن زوجــه، وصورة تصل إلى الكمال في كل شيء، حتى أن صور الحائط تكاد تكون لا تجد إحداها متنفساً لأن تميل بمقدار شعرة، فالأم هذه دقيقة جداً، وصلت إلى درجــة الإبداع في كل شيء، وكأنها سدت كل الذرائع عن أي ثغرة، قد ينفذ من خلالها أمرٌ غير محمود، فليس لعائلة كهذه بكمالها إلا الجنة. وليس لزوج كهذا إلا أن يــبقى ساجداً لله، شاكراً إياه هذه الزوجة، وهؤلاء الأبناء، وبيت الأحلام السعيد هذا.

تعالــت ضــحكات وإبتســامات هذه العائلة على الطاولة، وهم يتندرون ويتفكهون بنكات وقصص نادرة الحدوث، ثم يقوم الزوج شاكراً لله ولزوجه هذا الطعام اللذيذ، وتُبادله هي ألفاظ الإمتنان، وكذا فعل الأبناء، بألفاظ تنم عن أدب رفيع، وتربية مُحكمة.

تتــنقل الــزوجة في مشهد آخر في أرجاء بيتها، وهي لا تكاد تظهر في كل المشــاهد إلا في أبهى حلة، وأتقنِ ماكياج، وأكملِ تسريحة شعر، ومع ذلك فبيتها وأبنــاؤها، كما وصفنا، من النظافة والترتيب والإتقان. ولكن المخرج في كل مرة يســلط الضوء عليها، وهي تنظر إلى نفسها في المرآة عابرة، غير مهتمة بها، وكأنها تقــول لــلمرآة: أنا لست في حاجة أن أمعن النظر إليكِ ، فجمالي وبهائي في غنى عنكِ .

ومــاذا بعد هذا المنظر البديع؟، ينتقل المخرج إلى الزوج في مكان عمله، وهو يدير مؤسسةً ما، تساعده في عمله سكرتيرةٌ شابة جميلة، في غاية الرشاقة والحسن، وفي غايــة البهاء، وعن زينتها فلا تسل، صورة كاملة مكملة، لا تجد جانباً لم تمر علــيه أيادي الزينة وموادها، وهي ليست في حاجة إلى الزينة أصلاً، حتى ليتعجب المشاهد متسائلاً، من أين أتى التلفزيون بإمرأة في مثل هذا الجمال.

وتـــتابعها الكاميرا، وهي تتنقل بين جنبات مكتبها ومكتب مديرها. والمدير، بل والمشاهد كذلك، لا يكادون غض الطرف عنها، وهي مسرورة بإفتتان مديرها وإعجابـــه بهـــا، وأيـــن تجد معجباً بها خيراً منه، في جاهه وهيبته وثرائه، وتتعالى الضـــحكات بـــين المدير وسكرتيرته الفاتنة في الشاشة الصغيرة، وتتوالى المشاهد الـــناطقة بميلهما لبعضهما، وربما بحبهما وإلتصاقهما ببعضهما، حتى لم يكن بداً من غاية هذا كله للرجل المدير، إلا أن يقرر الإرتباط بها، فليس هو ذلك الشاب الذي يحـــب أن يعيش أياماً، يهيم فيها بحبيبته، وليس هو ذلك الذي عنده من الوقت ما يكفـــي، لأن يضـــيع بعضه في مغامرات ولقاءات ومواعيد، وليس هو ذلك الذي يهون عليه وقاره وهيبته، لأن يصرف شيئاً منها في علاقة مشبوهة، يتخفى بها بين الـــناس، فلذلك قرر الإرتباط بها، وقد وافقت هي على الإرتباط به، وهي تعلم أنه رجل متزوج.

إنـــتقل المشهد التلفزيوني إلى صالة مليئة بالرجال والنساء، في إحتفال عارم، وعروسين، أحدهما المدير والآخر السكرتيرة، والفرح يغمر الوجوه والقلوب، وجو كغـــيره مـــن أجـــواء إحتفالات الزفاف، مليء بالرقص والغناء، وحافل بالألوان والأنوار، والحلل الزاهية والورود، وتحفّهم الفتيات والفتيان من كل جانب، والكل منتشي في بحر من المرح والفرح.

يقتطع هذا المشهد التلفزيوني مشهدٌ آخر، بموسيقى الدوّامات المدوّية، وزوجة الـــرجل الســـعيد "أم الأولاد" في بيتها، وقد علمت أن هذه الليلة هي ليلة زفاف زوجهـــا بسكرتيرته، التي لم يسبق أن تُعرها أي إهتمام، فزوجها لم يكن في حاجة إلى إمـــرأة مثل سكرتيرته هذه، وقد أغرقته هي بكافة أنواع السعادة والهناء. وبدأ مشهد الزوجة المقتطع يصف حال الزوجة، فأخذ يصوّر ماهية الأفكار التي أخذت تعصـــف بالـــزوجة، بعد الصدمة العصبية التي نالتها، فقد اختلفت أضواء المخرج لذلـــك البيـــت السعيد، لتلقي عليه ظلاً كئيباً، ويصوّر الحزن في حلته، وأخذت الكـــاميرات تتوجه كلها إلى الصور العصبية المعلقة على الحائط، أو على صندوق

القمامـــة، بعـــد أن كانـــت مسلطة على باقات الورود في المترل، أو على حديقته العامرة بالزهو ر.

وأخذت الزوجة، كالمودع لحياهّا الزوجية تنتقل بها الكاميرا لمشاهد ذكريات الســعادة والفــرح، والرحلات السعيدة السابقة مع زوجها، ولسان حالها يقول بفقـــدان هذا كله، وأن لا عودة إلى ذلك بعد اليوم، وأن الشقاء بدأ زمانه، وهبت ريحه.

ثم تعود الكاميرا إلى الزوج في حفلته تصوره في سعادة وفرح وسرور، وكأن زمـــن الحـــرية عنده قد أشرف، وأشرف معه الإنعتاق من زوجه العجوز وأبنائه، وهبت ريحه من الآن فصاعداً.

إنتقلت الكاميرا إلى فترة شهر العسل مع الزوجة الجديدة، على أحد شواطىء الـــبحر الســـاحرة، وهمـــا يجريان على طرف الشاطىء، بتصوير الكاميرا البطيء، بملابس رحلات فضفاضة زاهية، تطير مع الهواء حيثما هب الهواء، وكأنما يسبحان فيه، لتعبّر عن مدى سعادة الزوجين العروسين، وصعودهما إلى سماء المتعة والأحلام، والإبتســـامات تعلو وجهيهما، تزاحم ملامح الوجه الأخرى، وتصوّر المدير الوقور يلعب بالماء ويتمرغ في الرمال، كطفل لم ير الماء والرمال من قبل.

ثم تعـــود الكاميرا إلى الزوجة الأولى، وتتكرر المشاهد عليها، في بيتها المظلم، ودمعـــتها على خديها، وهالات سوداء حول عينيها، وشعر متطاير غير مصفوف، وماكـــياج أصفر يوحي ببؤسها وشقائها، وموسيقى حزينة، وهي تقف أمام المرآة بملابـــس المطـــبخ، التي طالما جافتها، تتأمل في نفسها، وتتلمس وجهها وبشرهّا، وتتحســـس مـــناطق الضعف في جمالها، التي ربما قد كانت هي السبب التي دفعت بزوجها لأن يتزوج بغيرها.

ثم إنتقلت الكاميرا إلى الأبناء، وقد إعتزلوا الحياة الجماعية، وانفرد كل واحد مـــنهم في غرفته منعزلاً، تغطي وجوههم مسحةٌ من الكآبة، ثم تعود الكاميرا تلتقط لهـــم صوراً وهم على طاولة الأكل، وقد بدأ تصوير المشهد بكرسي الأب الفارغ،

والمتصـــدر صـــدر الطاولة، ومشهد الطعام الذي أخذ منظراً رتيباً، مجرد صحون متوزعة، ووعاء واحد في الوسط تغرف لهم أمهم منه الطعام، ثم قام أصغر الأولاد بســـؤال أمـــه عن أبيه أين هو، ولِمَ لمْ يعد يراه في البيت، ولِمَ لمْ يعد يجلس معهم يتـــناول الطعام، ما دفع سؤاله هذا الحاضرين من إخوته لأن يكتفوا بما أكلوه من الطعام ويقوموا، وكأنه صدمهم بذكرى مأساة، تلوّع الأكباد.

أخـــذت الكاميرا تتنقل بين الزوج السعيد مع عروسه من جهة، وإلى زوجة الرجل الأولى في بيته من جهة أخرى، وكأنه حديث مقارنة، أو إطلاع البشر على الأسرار التي عادة ما تحصل في مثل هذه الأحوال.

فهـــنا الـــزوجة التعيســـة، التي فقدت كل شيء، وذبلت، فأفلت نضارتها، وتـــبددت بهجـــتها، وهـــناك الأبناء الذين ضاعوا وتفرّق جمعهم، وبدأ سلوكهم بالإنحراف داخل البيت وخارجه.

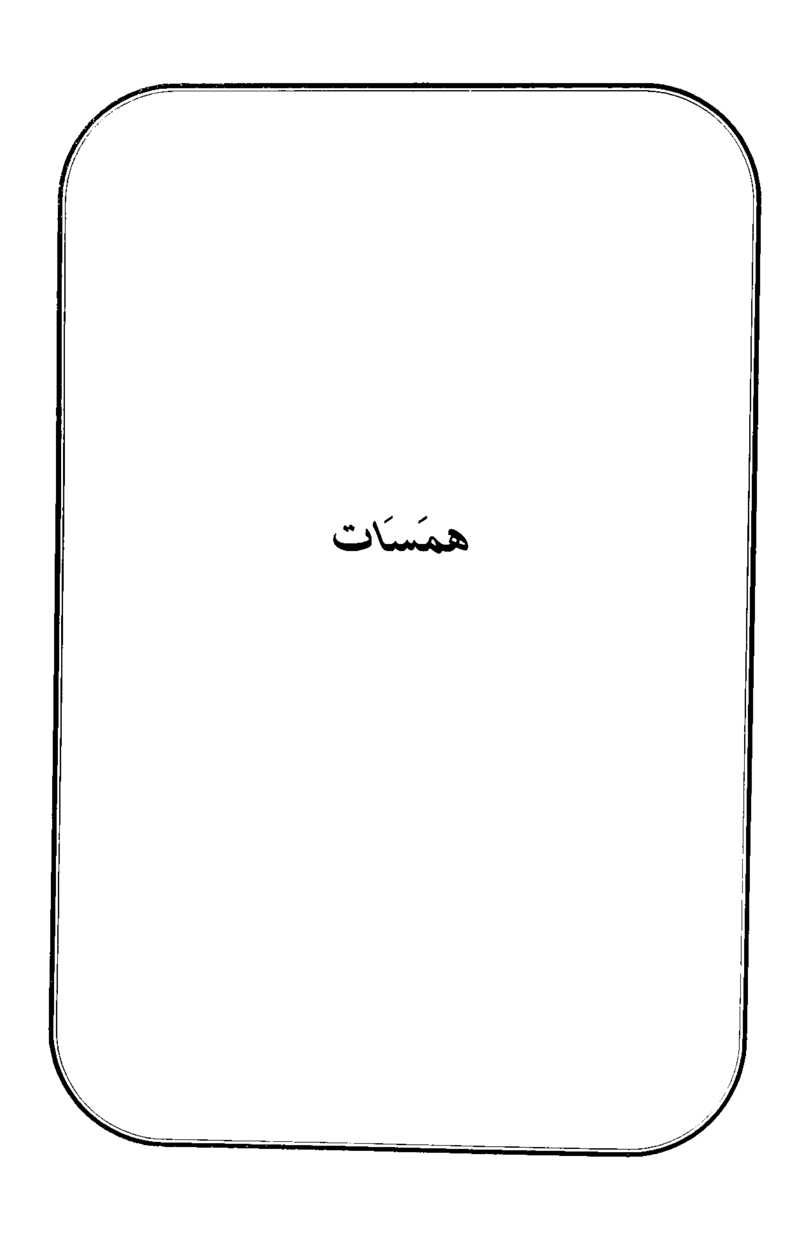
وهـــناك الزوج السعيد، الذي لم يعد لوجهه العبوس الجاد سبيل، فلقد غيّرت الكاميرا ملامح وجهه من عابس إلى ضاحك، ومن جاد إلى مازح، ومن رجل مملّ إلى رجـــل ونـــيس متبســـط، ومن رجل تقليدي الملبس والمظهر إلى رجلٍ شاب عصري. وتُظهر ه وقد أصبح ناسياً أن لـــه زوجة وأبناء خلفه وبيت، آخذاً بنفس عمـــيق متسائلاً، أين كان من هذه الحياة، التي لم يعرف متعتها من قبل قط، فلقد أنسته زوجه الجديدة كل بؤس وشقاء.

ولقـــد أفقـــدت الكاميرا وجود الزوج في بيته ومن بين أبنائه شهوراً، وكأنها أعطـــت المشـــاهد فكرة أن الزوجة وأبناءها فقدوا حياتهم الإجتماعية وأباهم إلى الأبـــد، وكـــأن الزوجة الثانية قد اختطفته نهائياً، ما جعل الزوجة تندب حظها، والأبناء يترحمون على أبيهم الفقيد.

ولكن بعد مشاهد كثيرة محزنة، وأخرى مبكية للمشاهدة والمشاهد، وبعد أن طـــال عناء الزوجة الأولى والأبناء "المنحرفين" شهوراً، بدأت ترجح كفة الزوجة الأولى والأبناء، وأصبحت المشاهد التلفزيونية والأحداث تصب في مصلحتهم، حتى

انتهت المشاهد إلى مشاهد من طراز النهايات السعيدة، كان مضمونها رجوع الأب المدير إلى زوجته الأولى وأبنائه وبيته، في مهرجان من الفرح والسرور وعودة مشاهد الزينة إلى البيت والأضواء والزهور، وإلى الأب المعترف بذنبه، التائب منه، بعد أن إكتشف خيانة وطمع زوجته السكرتيرة الخاطفة.

وبهذه السنهاية السعيدة ينتهي المشهد الذي أثلج صدر المشاهد، والمشاهدة خاصة، وأراحهم وطمأنهم على العائلة المسكينة، التي أجرم في حقهم أبوهم، وأجرمت في حقهم السكرتيرة اللعينة، التي اختطفته من أبنائه وزوجه وبيته.


همَسَات

لقد انتهى المشهد التلفزيوني، الذي جلس أمامه المشاهد، يتلقى مادة بالسمع والبصر مجتمعين، دون أن يكون لـه الحق في مناقشة ما يرى وما يسمع، فمن الطبيعي أنه ليس لـه في المشاهد التلفزيونية إلا التلقي، ولكن لحسن الحظ قد انتهى المشهد برضا المشاهد والمشاهدة، فثمرة المادة كانت ثمرة حلوة المذاق، وهي النهاية السعيدة.

إلا أني أعجب من مادة كهذه، وهي في حقيقتها تمثل قصة تتحدث في أصلها عن جانب إجتماعي نادر الحدوث، وبالتالي غير واقعي، فمثل هذا المشهد كثير من المشاهد التلفزيونية غيره، التي تتحدث عن نفس الموضوع، وبنفس الكيفية، زوج سعيد، حياة عائلية مستقرة، أبناء من أجمل ما أنجبت الأرحام، زوجة رائعة، بيت فاخر، مكتمل من كل شيء، ثم كفر النعمة من الزوج، خروج الزوج عن المألوف، إفتتانه بالقشور، إنجرافه إلى هاوية مجهولة، توالي الوقوع في الأخطاء، الإرتباط في هيئة زواج، ثم سقوط الزوجة أم الأولاد في هلاك العذاب، إنحراف الأبناء وضياعهم، تشتت شمل العائلة، ثم يعود الزوج إلى صوابه، بعد أن يكتشف أن الزوجة الثانية قد إختطفته، وانها كانت إمرأة غير نزيهة أو ما شابه ذلك، ويعود لأبنائه تائباً مستغفراً، وتنتهي القصة بهذه النهاية السعيدة.

قد لا أعلم ماذا يريد المخرج أو الكاتب من قصص أو سيناريوهات كهذه، وخاصة أن من يشاهدها هم كل فئات المجتمع، من الأطفال والفتيان والفتيات والشباب، والرجال والنساء، والشيوخ والعجائز، فما هي الفكرة التي يريد أن يوصلها الكاتب والمخرج لهؤلاء، هل ذلك معلوم، أم كما يقال "المعنى في قلب الشاعر"، على أي حال فإني أجد أن كل هذه القصص مهما إختلفت أو تنوعت، في مضمونها أو في نهاياتها، هي قصص مُختلقة، وهي من ضرب الخيال، أي ليس لها أرضية واقعية، وهي تنقل للمشاهد وتغذي دماغه بأفكار جديدة، أو بأفكار من

شـــأنها أن ترسم لـــه قاعدة فكرية جديدة للحكم على الأشياء، بخلاف ما إعتاد عليه من خلال مبدئه، أو كأن القصص أريد منها أن تنير للمشاهد طريقاً، لم يكن يبحث عنه أصلاً.

فهـــل هـــذه حقيقةً، هي الفكرة التي يجب أن تحملها كل شرائح المجتمع عن تعـــدد الزوجات؟ ليكبر الأطفال والفتيان والفتيات ويشتد عودهم، ويعيش غيرهم من الكبار، وهم ينظرون إلى تعدد الزوجات أنه فكرة مدمرة للأسرة، وغير صالحة للحياة، وأنها إنما هي للطائشين من الرجال والنساء، والضالين منهم والمنحرفين.

فلقـــد تحـــدّث المشهد الذي ذكرنا عن واقع عائلي، ليس للواقع المعلوم عند المشاهد العربي فيه أي أصل، لا من حيث طريقة الإجتماع لتناول الطعام، ولا من حيـــث ترتيـــب الأوعية على الطاولة، ولا من حيث ديكور المنزل، ولا من حيث ســـلوك أفـــراد العائلة، حتى ولا من حيث كيفية تزيّن الزوجة ومظهرها وزيّها في بيـــتها، والأحاديث المتكلفة المتداولة بين الأبناء وأبويهم، ولا من حيث أي شيء، وكأنهم يتحدثون عن أناس من كوكب آخر.

فكم هي نسبة أولئك الأزواج المدراء في البلاد العربية، الذين لهم نفس القصة ولهـــم نفس السكرتيرات الجميلات اللاتي خُلقن في أماكن أعمالهم دون إرادتهم، وكم هم أولئك المدراء الذين كان عندهم الميل إلى الزواج والإفتتان بسكرتيراتهم، حيـــث إتخـــذوا طـــريق العفـــاف فـــتزوجوهن، ومن أي مجتمع قدمت أولئك الســـكرتيرات، الـــلاتي يظهرن في أماكن أعمالهن، بكل تلك الفتنة والزينة، وبكل ذلك التبرج، وكم أعدادهن، وهن غير متزوجات شرطاً؟

إن كـــان المدراء قد إختاروا لأنفسهن سكرتيرات كأولئك، في غاية الجمال، يعـــني ذلـــك أن كـــل المدراء في جميع الدوائر في البلاد العربية غير جادين وغير منضـــبطين ويســـعون إلى الفساد؟ حيث أن إختيارهم لفتيات بنفس الكيفية أصلاً إختـــيار للفســـق وليس للعمل الجاد، فكم هي أعداد تلك الشركات؟ وكم أعداد أولـــئك المـــدراء؟ الذيـــن يجلسون على رؤوس أهرام شركاتهم، ويبددون أوقاتهم

وأعمالهم في الغزل واللعب، ومداعبة النساء؟

إن إظهار السكرتيرة الموظفة بتلك الحال يعني أن كل النساء العربيات تتصفن بصفات تلك السكرتيرة في جمالها وبهائها وتبرجها، وتغنجها، ويقوم المدير معها حتماً بعلاقة عشق وغرام، ثم زواج؟ ثم طلاق، لأنها في نهاية المطاف إمرأة لعوب وغير سوية، وخطافة للرجال؟ فهل هذه هي الصورة الحقيقية لبنية المجتمعات العربية؟

لا بأس من هذه القصة، لو وجدنا المخرجين ينقلون صوراً حقيقية وواقعية ومتنوعة من المجتمعات العربية، ثم يقومون بإنتاج قصة كهذه، كونها ربما قد تكون قد حدثت يوماً ما في صورتها الشاذة هذه التي ظهرت فيها.

باستطاعة المخرج أو كاتب القصة أن يجعل الزواج بزوجة أخرى أمراً حميداً، كما تفنن في مشهدنا التلفزيوني بجعله أمراً مذموماً، ألم يكن ذلك باستطاعته؟ فلماذا أراده ن يكون أمراً مذموماً؟ أليس هذا هو فن الأفلام والسينما، التي تستطيع أن تقلب الأمور، فتجعل المجرم هو بطل الفلم، الذي يتعلق به قلب المشاهد، ويتمنى له النصر على أعدائه.

وهكذا الحال مع هذه المشاهد التلفزيونية التي ذكرنا، التي يبدو أن الغرض الذي تخدمه واضحاً، وهو إخراج صورة الزواج بإمرأة أخرى جريمة، غذاؤها الأنانية، وحب النفس المجردة، والشهو ة، وأبطالها ما بين إمرأة طماعة نصابة غير سوية، ورجل مغفّل جاهل.

إن حياة الإستقامة والإنضباط هي التمسك بزوجة أبدية واحدة، وأن كل ما خالف ذلك هو ضياع وتيهان، وتبديد للأموال والأبناء، وخفة عقل، ومراهقة متأخرة، وان تعدد الزوجات أمر مذموم، بل يجب أن يكون في ذهن المشاهد مذموماً، لأن فيه ضياع الأبناء وتفرّقهم، ومادة إنحرافهم للمخدرات أو المسكرات والأمراض النفسية.

يبدو أن الغرض من هذا المشهد ومثيله، إظهار الزواج بأخرى أمراً فيه ظلم

وعدوان للزوجة الأولى، وهو مادة المرض لها، وضياع حقوقها وقهرها، ومادة التخلف والإنحطاط، وإن لم يكن، فهو أمر يخالف النهضة والرقي للمجتمعات، التي جُلّ شعوبها من النساء.

فهل الرجل يا ترى، الذي تزوج زوجة أخيه المتوفى أو أحد أقاربه لغرض سترهم ورعاية أبنائهم بما يجب، هل ينطبق عليه حال ذلك الرجل في المشهد التلفزيوني؟

وهل الرجل الذي تزوج إمرأة قاصرة أو مُسنة، غير نافعة للزواج، يتزوجها لغرض سترها ورعاية أبنائها لا يرجو منها شيئاً، هل يستوي حاله مع حال الرجل الذي ذكرنا؟

وهل الرجل الذي أصبحت زوجته قاصرة، على أن تؤدي له حق السرير أو القصور عن الإنجاب، أو غيره ممن يمتلك من القوة والطاقة ما تعجز زوجته التوافق معه فيها، هل يجوز في حقهم التنقل بين المومسات، حتى لا تكون حالتهم كحالة الرجل الذي ذكرنا؟

وهل الرجل الذي لا تمتلك زوجته أي قدر من التوافق معه في الفكر أو العلم، ولا يستطيع أن يأنس بها أو الجلوس معها والحديث إليها، هل هي نفس الحالة التي ذكرنا؟

وهل الرجل الذي لا تمتلك أو لم تعد تمتلك زوجته من الحسن والجمال ما يحقق له الكفاية أو العفاف، هل تنطبق عليه نفس الأحكام؟

وهل الرجل الذي لم تعد زوجته قادرة على القيام بالعناية به، لأي سبب من الأسباب، هل هو نفس حالة هذا الرجل في المشهد التلفزيوني؟

وهل الرجل الذي يقوم بالزواج بزوجة ثانية، لا بد له أن يضيع أبناءه، ويهجر زوجته الأولى كما في المشهد؟

وهل تعدد الزوجات، ذو التاريخ القديم، قد تمخض عن مجتمعات كلها ذات أهواء منحرفة؟ أو أنه هو السبب الذي صنع من المجتمعات العربية أو غيرها

مجـــتمعات متخلفة، ومتفككة، ومشتتة الأزواج والأبناء؟ أو أننا لم نعرف التخلف والـــتردي والإنحـــراف الإجتماعي، إلا من بعد أن تركنا أموراً عديدة منها تعدد الزوجات؟

فلماذا إذن لا يأتي التلفزيون بمثل حالات كهذه التي ذكرت، وهي التي يعيش بهـــا الناس، وهي التي تحاكي الواقع في حقيقتها، وتتحدث عنه، ولماذا لا تأخذ في عرض هذه الصور للمشاهد وتحاكيه بها، حتى يتم تصحيح الأخطاء التي قد تحدث عند الناس، في تطبيق هذه العادات وهذه التقاليد وهذه الأعراف، فيكون من خلال ذلك الإصلاح والتقويم للمجتمعات؟

فـــلماذا إذن تحاول هذه المشاهد التلفزيوينة أن تخدم أفكاراً معيّنة بقوة؟ وتريد أن تفـــرض لها قواعد معينة في ذهن المشاهد أو المشاهدة؟ ولماذا تحاول أن توظف كل اللقطات التصويرية لتبرز فكرها تلك الغير واقعية؟

مـــا هي مصلحة الكاتب من هذا الأمر، وما هي مصلحة المخرج؟ إن كانت قصتهما هذه لا تحاكي الواقع، وليس لها حقيقة في سردها؟ ماذا يريدان أن يوصلا إذاً إلى عقـــل المشـــاهد، هـــل يُـــراد بهـــذه المشاهد الإصلاح، ومعالجة المشاكل الإجتماعـــية؟ إن كان كذلك، فلماذا يعرضان في الجانب الآخر مشاهد تلفزيونية غربية أو شرقية، يُظهران فيها الحرية الشخصية المطلقة مظهر البطل في الفيلم، التي يعشـــق فـــيها الـــرجل زوجة جاره، أو زوجة أخيه، أو عدة فتيات يتنقل بينهن، ويمـــارس معهـــن الجنس جميعاً، ويبدو الرجل في هذه الحالة هو بطل الفيلم الذي تعشقه المشاهدات، وتصفق لـــه أيدي المشاهدين الرجال.

هـــل بهذه المشاهد وبهذه الأفلام يريد أن يعالج الكتّاب والمخرجون المشاكل الإجتماعـــية أو الإقتصـــادية؟ ألا تقـــوم هذه الأفلام بالتشكيك بصحة معتقدات المشـــاهد؟ وإظهارها أنها غير صالحة؟ وأنها تظلم الناس والنساء خاصة؟ وهل يقف المشـــاهد من هذه الأفلام موقف الرضى والقبول بها؟ ويبتلع أفكارها فتسير في دمه وهو يعلم، أو لا يعلم؟

أليست هذه المشاهد في باطنها دعوة إلى البغاء والسفور والفجور؟ لأن الرجل الذي يكون في حاجة إلى إمرأة أخرى، ولا يستطيع كبت هذه الحاجة، فإنه سيجد أن قـيامه بالزواج بأخرى أمر إجرامي، مرفوض من المجتمع الذي حوله، ولن يقبله مـنه أحـد، فما هي يا ترى الحلول التي وضعها المخرج للرجل في هذه الحالات؟ وكـذا الحال مع المرأة التي لا تجد زوجاً، وهي في حاجة غريزية للرجل والرعاية، فأي سبل وضعها المخرج للنساء في هذه الحالات ليسلكوها؟ هل أترك جواب هذا السؤال للقارىء ليجيبه بنفسه؟

طبـيعي أن المشاهد لا يستطيع أن يقف موقف القبول أو الرفض مما يرى أو يسـمع، إذا لم يكن لـه رأي يتبعه، فيقيس على أساسه، ويقبل أو يرفض، ويمدح أو يـذم، ويرضى أو يستنكر. فإذا كان ساخطاً، أو ذاماً، أو مستنكراً، فسيقتصر ذلك على نفسه هو، أو على من يحاول أن يبين لهم ما يراه هو سُخطاً أو منكراً، أو غـير صحيح. وإذا لم يكن كذلك، فسوف يجلس أمام التلفزيون يُسلِم قلبه وعقله له، فيتلقى منه سامعاً مطيعاً راضياً بما يمليه عليه.

إلا أننا وبعد كل هذه المشاهد، لم يتعرض الكاتب أو المخرج إلى سؤال يهمنا هـنا وهـو، لماذا يقوم الرجل بالزواج بإمرأة أخرى، أو لماذا يرى الرجل في تعدد الزوجات مبتغى ضروري له، ويرى فيه صحته، وتوافقه مع ما يحبه ويهواه؟ ولماذا لا يـتوافق ذلك مع هوى المرأة غالباً؟ ولماذا لا يقدر الرجل مسايرة هوى المرأة في رفضـها للتعدد فيمتنع عنه، وهل إن سايرها في تجنب التعدد كان ذلك خيراً لهما؟ أم تجنب التعدد خير للمرأة دون الرجل؟

# الدوافع التي تدفع
# الرجل للتعدد

لـــربما يكون هذا السؤال هو المحور الذي يدور حوله الكتّاب وكل أحاديثنا، ولربما هو بعينه السؤال الذي لم يجد لــه جواباً، بين جميع المتسائلين والمهتمين من الـــرجال والنساء، على حد السواء، ويكاد يكون هو السؤال الذي لم يرد من قبل في أي كـــتاب آخر، وما قد ورد في الكتب عند الحديث عن تعدد الزوجات هو الحديث عن الأحكام الشرعية بصدد التعدد، وكيفية العدل بين الأزواج، والحديث عن بعض الحقوق للزوجين، وسيل من النصائح للزوج والزوجة.

هذه الكتب هي التي إنطلقت من مبدأ التقيد بأحكام الله سبحانه وتعالى، وأن هـــذا حكم الله في الناس، وأنه يجب القبول به، وما إلى آخر ما يصب فيه الحديث من هذا المنطلق العقائدي.

وهناك كتب تحاول أن تناقش تعدد الزوجات من منطلق فلسفي، محاولة فيها إيجاد العلة التي أتى من أجلها حكم التعدد، وهذا إنحراف منهجي، فليس هناك علة لهـــذا الأمـــر، والعلة هي التي من أجلها أتى الحكم، أي كما يقولون أن العلة من الـــتعدد هـــي إذا كانـــت الزوجة لا تنجب، أو لأنها تكون لا تقدر على ممارسة الجماع، أو إلا إذا كان هناك موافقة مسبقة من الزوجة، أو ما شابه هذه الفلسفات الـــتي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي يختلف الرأي فيها بين جميع الناس، وأنه إذا غابت إحدى هذه العلل انتفى الحكم، وبالتالي انتفى حق الرجل في التعدد.

وكتـــبٌ وكـــتّاب آخـــرون، تحدثوا عن الموضوع من منطلق عقائدي غير إســـلامي، وقـــاموا بفلســـفة تعدد الزوجات، ونزلوا بكل قواهم يسفهون فكرته ويُنقصـــونه، ويعتـــبرونه من التخلف والرجعية، وأن تعدد الزوجات مثار المشاكل الإجتماعـــية العربـــية كلها، وأنها فكرة بليدة، وجنسية، وأحياناً غير أخلاقية، ثم إعتـــبروا علاقة الأزواج في الحياة، التي لا تحكمها الأعراف والتقاليد الإسلامية التي تتـــبرأ مـــن التعدد، هي الحياة الصحيحة، والحياة الغربية عند هؤلاء هي الحياة التي

تصل إلى حدّ المثالية، واستشهدوا بقصص من الخيال، وأخرى من واقع بعض فئات مـــن المجتمعات العربية، ليثبتوا صحة فكرهم، بأن تعدد الزوجات شيء إجرامي أو شيء آخر من هذا القبيل.

ولكـــني هنا أناقش الموضوع بعيداً عن هذه المنطلقات، وسأتخذ منهجاً تحليلياً لعقلـــية الـــرجل ونفسية، وحاجاته العضوية، ومواقفه الفكرية والإجتماعية، التي يـــنطلق منها ليقوم بالتعدد، لمعرفة ما هي الدوافع التي تدفعه حقيقة للتعدد، وكما ذكـــرنا فـــإن التعدد لا يقتصر على الرجل المسلم، الذي يتيح لـــه نظامه أن يقوم بالـــتعدد في إطـــار قانوني، بل يتعداه إلى الرجل الغير مسلم، الذي يقوم بما يفوق التعدد في إطار الحرية الشخصية.

على أي حال، فإن هناك ثلاث منطلقات رئيسية، تنطلق منها الدوافع، وهي كالتالي:

***المنطلق الأول : الدوافع الشخصية***

***المنطلق الثاني : الزوجة الجديدة***

***المنطلق الثالث: الدوافع الإجتماعية***

## المنطلق الأول- الدوافع الشخصية

* الميل الشخصي للتعدد، دون دوافع أخرى، أي بدون وجود أسباب: لنعد إلى مجالس الرجال التي قد نقلنا منها ومن أحاديثهم ما يتحدثون فيه بكل صراحة ووضوح، فهم لا تجد فيهم المستنكِر لهذا الأمر، أو الناظر إليه نظرة شاذة أو منكرة، حتى الرجال الغربيون لا يستنكرونه، بل ويمارسونه بالكيفية التي تعجبهم، ويرونه طبيعياً حتى في ظل الحكومات التي تمنعه، ولذا فإن الرجال جميعهم يُجمعون على الرضى والقبول وإستحسان التعدد، حتى ولو لم يفعلوه، وبذا يتبين لدينا أن هذا الموقف من التعدد عند الرجال، إنما يدل على أكثر من

كون التعدد رغبة مجردة، يقوم بها البعض أو يمتنع عنها البعض الآخر، وأكثر من كون الرجال يجدون متعة في الحديث عنه، بل التعدد هو نتيجة لميل طبيعي عند الرجل للإرتباط بواحدة وأكثر، هذا الميل ينطلق من غريزة النوع، شأنه شأن ما عند المرأة، إلا أن الرجل عنده نزعة غريزية للتكاثر، هي أقوى بمراحل مما عند المرأة، مما قد يفسر ميله الطبيعي هذا للزواج بواحدة أو أكثر، ولا نقول إلا أن هذا مما قدره الله في خلقه، ولله في خلقه شؤون.

* حب النساء المجرد: وحب الإرتباط بهن، هذا الميل يختص به بعض الرجال ولا تجده عند غيرهم، وهو زيادة عن الميل لحب المال، وأكثر منه عن الميل لحب العقار أو المراكب، أو غيرها من حاجيات الدنيا ومتعها.
* الحاجة العضوية: وهي تمتع أحدهم بالقوة الجنسية الفائقة، التي قد نسميها بالفحولة، مما لا تتحقق لديه الكفاية في زوجة واحدة.
* الحاجة النفسية: عند نسبة كبيرة من الرجال، تكاد تكون عند سبعين في المائة منهم، حاجة عاطفية جياشة إلى الجانب العاطفي عند المرأة، هذا الجانب قد لا يأبه لـــه كثير من النساء، وكثيراً ما لا يجده الرجل عند زوجته لأي سبب من الأسباب، كأن تكون الزوجة في الأصل لا تحب أن تتعامل مع زوجها بهذه الكيفية العاطفية، أو تكون لا تحسن التعامل بهذه الطريقة، أو تكون الزوجة عندها من الأطفال عدداً يشغلها عن أمر كهذا، أو أنها تحسن التعامل بهذه الطريقة، ولكنها لا تحسن تنظيم أو قاتها، أو أن المرأة تظن أنها تقدم لزوجها ما يكفيه من العاطفة، وهو لم يحصل منها على ما يكفيه مطلقاً، أو تكون المشكلة في الزوج، أنه ذو عاطفة أكثر من غيره من الرجال، مما لا يحقق عنده من العفاف ما يكفيه من زوجته أو من زوجة واحدة فقط.
* الحاجة الشخصية: وهي حاجة الرجل لعناية ورعاية إضافية خاصة، بملبسه ومأكله ومشربه ومظهره، وحاجته لأجواء الراحة والهدوء والإسترخاء، في بيته وبين أبنائه، وخاصة إن كان من أصحاب الأعمال والتكاليف المجهدة.

قد تقول المرأة العاملة أن هذا ليس عدلاً، فهي كذلك في حاجة إلى من يهتم بهـــا ومـــن يرعاها، ويقدم لها الأكل والشرب، والحصول على قدر من الإسترخاء والراحة، شأنها شأن الرجل.

لا نقول للمرأة لا، الرجل هو الشخص المقدس وهي خلاف ذلك، ولكننا في هــذا الكتاب لا نعالج مشاكل خاصة بين زوجين، وكيف نجد لهما الحل المناسب، ولكننا نتحدث هنا عن الدوافع التي تدفع الرجل للزواج.

إن عمـــل المـــرأة قد يكون من المؤثرات التي تعزز ميل الرجل للتعدد، لتلبية حاجاته الشخصية، وحاجات أخرى ممن ذكرنا.

* الميل إلى التجديد: لا أقول تجديد الزوجة، ولكن تجديد الحياة، وهو ميل الرجل لأن يصنع نوعاً من الإثارة والتجديد في حياته، ومع نفسه، ويخرج عن النظام الرتيب في بيته، ويشعر بعالم أكبر مما يجده في بيت واحد، وعند عائلة واحدة، وإني أرى هذا الميل ميلاً غريزياً إلى حد كبير.

* كثرة الأبناء: وهو دافع قوي عند بعضهم، وأقل قوة عند البعض الآخر، ولكنه أحد الدوافع الهامة لتعدد الزوجات.

* الميل إلى توسيع آفاق سلطان الرجل: وهذا كذلك ميل غريزي، يشبع فيه الرجل حاجته لأن يكون لـــه سلطان أكبر مما هو على عائلة واحدة، أو زوجة واحدة، وعدد قليل من الأبناء. وفيها يجد الرجل متعة هو دائماً في حاجة إليها، وتخاطب حاجة في نفسه.

* الحاجة الفكرية: إن من الرجال كثيرون ممن يحبون أن تشاركهم زوجاتهم همومهم وخططهم المستقبلية، ويحبون أن تشاركهم النقاشات العلمية والثقافية، ويجدون عند الزوجة العلم والثقافة والحكمة وبالتالي النصيحة، وكذا المشاركة الوجدانية لكل ما يقومون به، وخاصة من الرجال النبهاء أو أصحاب الحكمة، وذوي الطاقات العالية، والعاملين في مجالات النهضة.

ولــذا فــإن أمـــثال هؤلاء الرجال غالباً ما لا يكفي طموحاتهم وتطلعاتهم

وحاجاتهم الفكرية والثقافية إمرأة واحدة، أو جانب واحد من العلاقة المقتصرة على الإجتماع وإنجاب الأبناء، وإشباع البطون، وتلبية الحاجيات من ملبس وما شابه.

* تغطية العيوب الشخصية: قد يكون هذا دافعاً لبعض الرجال الضعيفين شخصياً وإجتماعياً أو مادياً، للإرتباط بإمرأة أخرى قوية الشخصية، يشعر إلى جانبها بالأمان والقوة.

قـــد يكـــون أحدهم ممن هم من نفس النوع من الأشخاص الضعيفين الذين ذكرنا، وعنده زوجة متفوقة عنه إجتماعياً أو مادياً أو ثقافياً. قد يضيق ذرعاً بحاله أمامهـــا، فيندفع إلى الإرتباط بإمرأة تحاكي مستواه الإجتماعي والشخصي وتواضع حاله.

ومثل هذه الحالات كثير، أوردت منها نماذج فقط لمعرفة التصور.

* البحث عن التوازن: نجد هذه المشكلة عند كل الأزواج تقريباً، وذلك أنه غالباً ما تبقى الصورة الأولى للزوج عالقة في ذهن الزوجة عند زواجه بها، وهو في بداية أعماله الوظيفية وفي سن الشباب، وغالباً ما يحقق هذا الشاب نجاحات كثيرة في حياته، وتطوراً فكرياً أو ثقافياً أو علمياً على مدار السنين، إلا أن الزوجة غالباً ما يفوتها تغيير تصورها عن زوجها المتطور، الذي يصبح في حاجة إلى إحترام وهيبة من نوع جديد، كالتي يجدها عند نظرائه، فإن لم يجده عند زوجته يندفع للزواج ليجد من الإحترام والهيبة ما لا يجده عند زوجته، فيحقق لـــه ذلك من التوازن ما يحتاجه.

* أخطاء الزوجات: أخطاء الزوجات بشكل عام كثيرة، وهي من أقوى الدوافع للرجل للتعدد، أهم هذه الأخطاء وأبرزها "الإهمال"، ويحدث الإهمال في جوانب الحياة الزوجية، في مسائل حساسة جداً ومؤثرة، كالإهمال التي تقوم به الزوجة بمظهرها وبقوامها، وإهمالها لزينتها، أو إهمالها الإهتمام بزوجها، وقلة الوقت الذي تسخره له.

وكــون المرأة تلعب دور الصديق والأخت والأم والراعي النفسي، إضافة إلى كونها زوجة، فمواضع الإهتمام المسؤولة عنها الزوجة تجاه زوجها كثيرة، والتقصير في هذه الجوانب يربك حياة الزوج، وتضطرب أوضاعه النفسية وإستقراره.

ومــن الأخطــاء، الإهمــال في تربية الأبناء وعدم كفاءة الزوجة في الإهتمام بالأبناء، وسوء تربيتها لهم جسدياً وخلُقياً.

ومن الأخطاء العظيمة كذلك، التي تقوم بها الزوجة وتدفع بها زوجها للتعدد دفعــاً، إذا كانــت سيئة الخُلُق وتتعامل معه تعاملاً شريراً، أو تعاملاً نكداً، كالتي تتصــيد أخطــاءه، أو تعامل الزوجة القائم على التكبّر والتعالي والفوقية، والتعامل القــائم على التحدي والمكابرة والمنافسة، ومحاولة الزوجة الإنتصار على الزوج في الرأي والمواقف، ومن ذلك كثير.

ومن الأخطاء الشائعة التي يقوم بها جل النساء، هو عندما لا ترى الزوجة في زوجها إلا أنه بنك مالي متحرك، أو شخصاً لم يُوجد على أرض الواقع إلا لخدمتها وأبــنائها، ولشــراء أغراض البيت، ورمي النفايات، وتلبية كل طلب يخطر ببالها، وبضغطة زر واحدة.

فكــل هــذه أخطاء يراها الرجل ويشتكي منها عادة، ويصرّح بها لزوجته، ويجادل من أجلها كثيراً، بل ويحذّر زوجته منها، فإن لم يجدها تستجيب لملاحظاته وشــكواه، تصــبح شكواه فيما بعد معاناة يبحث لها عن مخرج، يهرب فيه بنفسه إلــيه، أقــرب مــا يكون، إن إستطاع، زوجة أخرى تفهمه ولا يجد عندها تلك الأخطاء.

* أسباب سياسية إجتماعية: كثير من الحكام والقادة السياسيين تاريخياً وحالياً، يقومون بالزواج من نساء من أقوام آخرين، من باب خلق روابط نسب ومصاهرة، تخدم فيما تخدم الأغراض السياسية.
* أسباب أخرى شاذة: كالنصب والإحتيال وما شابهه، وإني لا أميل إلى ذكر هذه الدوافع، ولكن عندما سألت بعضهم، أكد لي أن لهذه الدوافع واقعاً حقيقياً،

في ظل الواقع الإقتصادي المتدني، والواقع الفكري المتخلف، أن يقوم بعضهم بالنصب على النساء الأغنياء والإحتيال عليهن، وأخذ مأربهم منهن ثم هجرهن، أرجو أن يكون هذا الدافع من ضرب الخيال، وليس لـــه واقع حقيقي.

* التنقل الكثير بين البلدان: يدفع الرجال أصحاب الأعمال الكثيرة، والتي تتطلب منهم أسفاراً كثيرة وإقامات طويلة بعيدة عن زوجاتهن، يدفعهم غالباً للزواج من البلدان التي يرتحلون إليها.

* دوافع شخصية أخرى فردية غير شائعة: من منطلق الدوافع الشخصية، قد نجد كثيرين ممن يذكرون دوافع خاصة بهم، غير التي ذكرنا، ونحن لا نذكر هنا إلا ما قد شاع من دوافع معلومة للجميع، ولا تقع في إطار النوادر، أو الغير معتاد، ولكن حتماً هناك دوافع خاصة كثيرة.

## المنطلق الثاني: الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة:

وهـــو المنطلق الذي يندفع من خلاله الرجل بالزواج متعدداً، أياً تكون أسبابه هي الزوجة الجديدة، ثانية كانت أو ثالثة أو رابعة، ومن هذه الدوافع:

* المال: نقطة ضعف رجال كثر، والمال من الدوافع التي تغري الرجال بالتسابق على المرأة، كانت ذات جمال وحسن، أو لو لم تكن، المهم أن تكون ذات غنى تكفي الرجل حاجته وقلة حيلته، وترفع عنه نوائب الدهر، وخاصة في الأوضاع الإقتصادية السيئة.

* الحسن والجمال: هذه نقطة ضعف أكثر الرجال، فالمرأة هي سفيرة الزينة والمتعة، وكل المرأة زينة، فما بالك أن تكون هي أفضل الزينة وأحسنها، وهي السبب الذي لا يجد الرجل قوة على رده، أو رفضه، ولذلك فهو من أقوى الدوافع التي يقف وراءها تعدد الزوجات.

* الحسب والنسب: أحد الدوافع التي يجدها الرجال الأقوياء خاصة، مثيرة عند المرأة لأن يستقوي بها، وبأهلها، ويشعر بالفخر والعزة بالإرتباط بها، وبمصاهرة

أهلها، وخاصة إن لم تكن لـــه زوجة ذات حسب أو نسب.

* الدين: بالرغم من تراجع فكرة الإرتباط بزوجة ذات إيمان قوي، إلا أن هذا عند كثير من الرجال، حتى عند بعض الفاسقين منهم لا زال من أقوى المطالب، التي تعتمر قلوب الرجال وأمنياتهم.

* المراة النجيبة: قد تكون الرغبة في الحصول على أبناء نجباء، من أهم المطالب عند كثير من العقلاء من الرجال، وهو دافع لهم للزواج. وقد تُعرف المرأة النجيبة من خلال نسبها الطيب، أو من خلال أهلها ذوي الأصلاب القوية. وقد ترتبط بهذه الفكرة أيضاً فكرة تحسين النسل وما شابهه، كدافع للتعدد.

* الحب والعشق: إن مترلق الحب مترلق قوي ومحبب لدى الرجل، بل ويرى فيه متعة وإثارة وجاذبية، ويأخذ بتلابيبه إلى الزواج وهو مستبشر وهائم، وهو دافع قوي من ضمن الدوافع الأخرى التي ذكرنا.

* المرأة المثقفة أو الذكية أو المتعلمة أو الحكيمة: لم أصنف هذه الصفات تحت الحسب، لأن لها شأن خاص بها، فكثير من الرجال من تدفعه تلك الصفات أو إحداها للزواج متعدداً، بل إن بعضهم من يسعى للحصول على زوجة بهذه الصفات لإفتقاره لصاحبة تغطي عنده حاجة في نفسه، لا تشبعها زوجته الأولى أو زوجاته الأخريات.

## المنطلق الإجتماعي:

مـــن هـــذا المنطلق، نجد في مجتمعاتنا العربية صوراً كثيرة للتعدد، منطلقة من جانـــب إجتماعي كريم، ومليء بالرحمة والترابط، ولا يمكن إنكار هذا الجانب أو رفضـــه أو إعتباره مذموماً، بل هو محمود بكل المقاييس، ومن هذا المنطلق، نذكر الصور التالية:

* المحافظة على الروابط الإجتماعية: هذا الواقع نجده في كثير من العوائل والقبائل، وأحياناً بين الجيران، أن يقوم أحدهم بالزواج من أرملة أخيه أو أرملة إبن عمه

أو جاره، التي تعول عدداً من الأبناء، فيقومون بالزواج منهن للمحافظة على ستر الأرامل، والمحافظة على الأبناء في آن واحد، وكذا بالروابط الإجتماعية.

* المحافظة على الزوجة الأولى والعائلة والأبناء، عند حصول الخلافات المؤدية للطلاق، بعدم إتخاذ إجراء الطلاق، وإنما يقوم الرجل بالزواج بأخرى، للمحافظة على كيان الأسرة من التفكك، عسى أن تزول الخلافات مع مرور الوقت، ويجد الرجل شيئا من الراحة، وربما الزوجة كذلك.
* العادات والتقاليد: إن في بعض المجتمعات العربية وغير العربية، بعضها متمدن وبعضها غير متمدن، بالرغم من الزخم الإعلامي المناهض لفكرة تعدد الزوجات، فلا زال عرف التعدد عندهم قائماً، ولا يزالون يرون تعدد الزوجات أمراً طبيعياً، ويسلكونه كأي فعل من الأفعال الأخرى، لا يجدون فيه حرجاً، وليس كما هو الحاصل الآن عند أكثر المجتمعات المتأثرة بالإعلام، والذي بالرغم من سماح النظام به، جعل أمر التعدد عندهم فكرة غير طبيعية ومتخلفة.
* الزواج لتحقيق القيم الرفيعة: القيمة الروحية والإنسانية والأخلاقية، وهذا يحدث في مواقف كثيرة، كالذي يتزوج لأن إمرأته أصبحت غير قادرة على تكاليف الزوجية لمرض أو ما شابهه، ولا يستحسن طلاقها في الوقت الذي تكون هي في حاجة إليه. أو يكون أحدهم قد تزوج بأمرأة تكبره سناً كثيراً وبينهما مودة ورحمة وحب، فتعجز وما زال هو شاباً، فيُبقي عليها ويقوم على رعايتها ويتزوج بأخرى، أو كمن يطلق زوجته ثم يتزوج بأخرى، ثم يصطلحان، فتعود الزوجة إليه بعد أن تزوّج بغيرها، أو كالذي لم يرَ توافقاً بينه وبين إبنة عمه أو قريبته بعد أن تزوجها، ولكن حفاظاً على الترابط العائلي بين أهله وأهلها لا يطلقها، لئلا يسيء إليها وإلى أهلها، وحتى لا يتسبب في الشقاق العائلي الذي قد يحدث من خلال هذا الطلاق، أو كالذي يتزوج بأمرأة مسنة ذات بنات يحتجن إلى رعاية، وليس عندهن من يعولهن، فيقوم بالزواج بها لغرض رعايتها وبناتها، وأما بعضهم فيقوم بالزواج بإحدى بناتها، ويبقى على رعايتهن جميعاً،

وفي كلاهما تحقيق لكل القيم المباركة. أو يتزوج بإمرأة عاجزة حتى يقوم بتكاليف رعايتها، لا يرجو من ذلك إلا سترها، وليس ما يرجوه الرجل من المرأة عادة.

* أسباب إجتماعية أخرى فردية: وهي كثيرة وعديدة الجوانب، لا نستطيع حصرها هنا، وهي مما يتعلق بظروف معينة بين الناس، وليست شائعة بين كل الناس، وعند كل الرجال والنساء. أمثلة على ذلك، عدم التوافق الوراثي بين الزوجين وإنجاب أبناء معاقين، أو رغبة الرجل في الحصول على أبناء أو بنات، لم يتمكن من الحصول على أحدهم من الزوجة الأولى، وغير هذه الأمثلة الفردية كثير.

## لا بد أن يجتمع عند الرجل عدة دوافع:

هـــذا مجمل الدوافع من هذه المنطلقات التي تدفع الرجل للتعدد، إلا أننا يجب أن نذكـــر هنا، أن الرغبة في التعدد لا يقف وراءها دافع واحد، أو إثنان أو ثلاثة، فـــلا بـــد أن يجتمع للرغبة في التعدد عند الرجل عدة دوافع، مجتمعة في آن واحد، على رأسها الدافع الفطري.

وتخطـــىء المرأة عادة في الظن، وهذا شائع جداً، عندما تظن أن سبب توجه زوجهـــا للـــتعدد منطلق من عيب فيها، أو تقصير من جانبها في أداء حق الزوج عليها، ولكن كما ذكرنا يجب أن تتوفر عدة دوافع، وأقدّرها تقديراً شخصياً بما لا يقـــل عن سبعة دوافع، تقل أو تكثر، وذلك حتى يتم عند الرجل القناعة بالتعدد، والقرار والإرادة له.

أما الظن أن الزوج يقوم بالتعدد لسوء في خُلُقه كالإتصاف بالأنانية أو البطر، أو مـــا شابهه ذلك، أو أن الرجل زوج سيء الفعل، كنكرانه للجميل تجاه زوجته، أو أن قـــيامه بالـــتعدد برهاناً على كرهه لزوجته، أو إسرافاً منه، أو ما شابه هذه الظنون، ففي الحقيقة وبالتأكيد فإن قرار التعدد لا يقوم على مسائل كهذه مطلقاً،

إلا ما شذ، والشذوذ ليس لـــه واقع للحكم على الأشياء.

ومـــن ذهـــب بظنه أن التعدد متعة وهوى، وتقلّب بين أحضان النساء، فقد جانـــب الصـــواب، وأخطـــأ، فالـــتعدد في حد ذاته مسؤولية عظيمة إضافة إلى مسؤوليات الزوج يحملها على عاتقه، فهو يقوم برعاية لزوجة وأبناء آخرين، إضافة إلى زوجـــته وأبنائه، ويتحمل مسؤولية تربيتهم وتعليمهم، والصرف عليهم، وأعباء أخرى كثيرة.

بل إني أرى الرجل الذي يقوم بالتعدد شخص جاد ومستقيم، ولوكان دافعه الهـــوى، لوجـــد من طرق الهوى المفتوحة على مصراعيها الكثير بثمن بخس، أقل تكلفـــة وعناء من توجهه للزواج، وأقل عبئاً وأهون مسؤولية، وله فيه حرية الخيار والإختيار والتنقل.

ولـــذا فإن الرجل الذي يتخذ قرار التعدد، رجل لا يُورد نفسه وأهله مهالك الآثام الشرعية والأخلاقية، فضلاً عن المهالك الصحية، بل إنه يحميهم من الإنحراف الخلقـــي والسلوكي، وهو يُري أبناءه وأهله وباقي الناس الطريقة الصحيحة للحياة العادلـــة المستقيمة، بعيداً عن دعاوى الفجور والبغاء التي تنصبّ على قلوب الناس وعقولهم في الإعلام صباً.

بل إني أجد الرجل الذي يقوم بالتعدد رجل قوي، ومكافح، ورجل عنده من الإستعداد لتحمل المشاق والأتعاب الشيء الكثير، الذي يميّزه عن غيره من الرجال.

# ماذا تفعل المرأة
# عندما يتزوج زوجها؟

## لن أقول للزوجة:

لقد حان الآن موعد شد الحزام، وحان وقت تجهيز أسلحة القتال والهجوم، وعليك الآن أن لا تستسلمي لهذه الجريمة النكراء، فلقد مُسّت كرامتك، ولقد إعتدى زوجك على هيبتك وعزتك بين الناس، فمثلك لا يُفعل فيه فعل مشين كهذا، فأنت بنت الرجال الأبطال، وأنت ليس لك بين النساء مثيل، وأنت لا تستحقين فعلاً قبيحاً كهذا، فمَن هذه التي تزوجها زوجك، إنها لا تفوق منزلتها منزلتك، لذا فإن عليك أن تعدي العدة للوقوف في وجه زوجك، كاللبوة الجائعة في أرض قفار، لأنك لو قبلت بهذا الأمر، فأنت ستفقدين هيبتك، وسيتطاول عليك زوجك، وستتطاول عليك النساء الأخريات، بالشماتة والتحقير.

لذا فإن عليك أولاً أن تفضحي فعله هذا عند كل الناس، وتبيّني لهم أنه رجل أناني، نكار للمعروف، نكار للخير الذي رآه على يديك، ولا بأس أن تتهميه أنه استغل طيبتك وأخذ من أموالك، فاستعان بها على زواجه بغيرك.

إن عليك أيضاً أن تهدديه وتتوعديه فوراً، أن يقلع عما قام به، ويطلّق زوجته الجديدة، وإن لم يفعل ما تأمريه به، فأخيفيه بترك منزله وأولاده، وإن لم يستجب، فلا تقبلي بهذا الظلم الذي وقع عليك، واتركي البيت، وأوقعيه في مأزق تربية الأبناء بنفسه، حتى يعود إلى صوابه.

عليك أن تكوني أشد مكراً به، فتبقين في بيتك، ولكن لا تدعي له يوماً واحداً يرتاح فيه، وانكدي عليه عيشه، وألحّي عليه في قيامه وقعوده تطليق زوجته، لأن "الزنّ أقوى من السحر" كما يقال، حتى يعلم عواقب فعله هذا، ثم يجب أن تنتقمي لنفسك منه في أي شيء، فإن كان لك مال عنده أو كنت تشاركيه في تجارة أو أملاك، فأفسدي عليه تجارته وأملاكه، واسحبي أموالك منه حتى لا يصرفها على زوجته الجديدة وأبنائه فيما بعد.

إن لم يكـــن لك أموال عنده، فاعملي على أن لا يجمع شيئاً منها أو يدخره، وقومي بأعمال من شأنها إستنزاف ما يملك من أموال، كتبذيرها أو صرفها بكيفية غير منضبطة.

ثم لا تنسي الإنتقام من زوجته الجديدة، التي هي في الأصل السبب أنها قبلت الزواج به، وهي تعلم أنه متزوج، و لم تراع حرمة غيرها، و لم تراع مشاعرك.

ولـــن أقول للزوجة الجديدة: هذه فرصتك الآن، هذا رجل فرطت فيه زوجته الأولى، وهـــو يبحـــث عـــن السعادة وستجدينه مندفعاً، فعليك أن تتخذي شتى أساليب المكر والحيل، واستفيدي من إندفاعه هذا لأن تنسيه زوجته الأولى، وأريه شـــتى أنواع التعامل الحسن حتى يرى الفرق، فيبقى لا يرى السعادة إلا في عينيك وفي رضـــاك، فيصرف عليك من ماله بدون حساب، لأن الرجال يُفتنون ويهيمون عادة بحب الزوجات إن أحبوهم، فاستأثري به لنفسك، وتمتعي ما استطعت، فماله إن لم يصرفه عليك، فسيصرفه على زوجته الأولى وأبنائه.

إن مـــن هذه النصائح التي تسمعها الزوجة الأولى والزوجة الثانية من غيرهن مـــن النســـاء الشريرات، أو من الأفكار التي تخطر في بالهن كثير، ولا تنتهي، وإنها للأســـف أفكـــار أصبح لها واقع عند بعضهم، وقد تكاد تكون شائعة أيامنا هذه، وكـــأن الأمـــر كما يصوره البعض من النساء، أنه جريمة يقوم بها الزوج في حق زوجته الضحية.

قد تكون المرأة في الحديث عن التعدد معنية أكثر من الرجل، كون فعل التعدد في ظاهـــره تعدي على حق المرأة، وأن المرأة في هذا الصدد هي السلعة التي تُشترى أو تـــباع، أو أنها هي التي تقف وراء ظلم زوجها، أو أنها تكون بخلاف ذلك هي المظلومة، وهي التي تقع ضحية جريمة الزوج وأهوائه، ولذا تجد الحديث عن التعدد منصب على الزوجة الأولى فقط، وكأن القضية برمتها هي الزوجة الأولى.

وفي الحقيقة لا يصح أن ينطلق البحث من هذه الأفكار، لأن لو تم ذلك، إذن لوجـــب أن نتحدث عن مجرم وضحية، وليس عن واقع خَلْقي وإجتماعي وإنساني

وأخلاقي وروحي، كما بيّنا في الدوافع التي تدفع الزوج للتعدد.

## المرأة هي الضحية؟

أمـــا الحديـــث جـــدلاً عن المرأة، واعتبارها الضحية لأهواء الرجال وميولهم الغريـــزية، فهـــو خطاب مغرض، لأن المرأة لا يمكن أن تكون ضحية إلا إذا ترتب عـــلى زواج الرجل بغيرها موهًا أو قتلها، أو على الأقل إنتقاص أو سلب حقوقها، أو إنتزاع أبنائها منها، أو أكل مالها، أما مجرد زواج الرجل بغيرها، فليس فيه ضرر عليها، ولا على أبنائها أو حياتها، ولا تصبح بأي حال من الأحوال ضحية.

أمـــا إن وجدنا أحدهم مصرّاً على القول أن المرأة ضحية، أو يصوّرها ضحية كما في المشهد التلفزيوني فهذا شأنه، ويريد هو أن يصوّرها كذلك لحاجة في نفسه وكفى.

ولكـــني أقول هنا أن الأمر يبقى في الأول والآخر في يد المرأة، إن أرادت أن تعتـــبر نفسها ضحية، فلها ذلك، ولكنها ستتحمل تبعات هذا الموقف، الذي يجر وراءه مرضـــها النفسي والتصادم مع الزوج، وحصول المشاكل التي لا يُعلم مداها من الأنكاد والأحزان، وإضطراب الجوالعائلي ونفسيات الأبناء، والكراهية، أو حتى إلى الإنفصال.

أما إذا أرادت المرأة أن لا تعتبر نفسها ضحية، وأن تتفهم هذا الأمر، وتعتبره يســـير مساراً طبيعياً، من الناحية الغريزية إبتداءً، ومن الناحية الإجتماعية، وأنها لن تفقد شيئاً من هذا الواقع، فكما تزوجها زوجها، وقد كانت إمرأة غريبة عنه، فهو يقوم بنفس الأمر مع إمرأة غريبة عنه غيرها، فالرجل لا يكون مِلْكاً خاصاً بها لمجرد الـــتزوج به، وهو حكر على الزوجة، فتقوم تقاتله، وتقاتل غيرها من أجل حيازته كأنـــه ســـلعة، وإرجاعه إلى حظيرتها، لذا فإن المرأة ستزيل الحواجز التصادمية مع زوجهـــا، حيـــنما تقفز من فوق "عقدة الضحية"، عندها تسير الأمور سيراً طبيعياً معه، ولكننا هنا لا نغمض أعيننا عن أن هذا الأمر أمر يستجد في مسار حياة المرأة

الزوجـــية، ويحتاج في الحقيقة من المرأة إعادة ترتيب أوراقها نفسياً وإجتماعياً، فغداً ســيكون أبناء إخوة لأبنائها، وغداً سيكون تنظيم للوقت جديد، وحتماً إحساس جديد بنوع من الغيرة.

إلا أن ترتيـــب الأوراق هذا في حاجة إلى بعض من الوقت، وإلى تغيير طريقة الــتفكير، لــيس عــند المرأة فحسب، ولكن كذلك عند الرجل، ويجب أن يعالج الموضــوع من كلي الزوجين معالجة حكيمة، فتقوم الزوجة كما قلنا، وهذا الأهم، بتغــيير طــريقة الــتفكير عندها، وتأخذ جانب الرفق والتلطف بنفسها وبزوجها وبأبــنائها، وأن تعلم أن مقاييس التعدد لا تقوم على أنقاضها، أو أنها هي المتسببة فــيه، ولــيس هو عقاب لها، أو سوء أو كارثة أقدمت عليها، أو من هذه الأفكار الغير صحيحة.

إن المــرأة لــو إتخــذت طريقاً خلاف ما قلت هنا، فهي ستتوجه حتماً إلى التصــادم مع زوجها، لأن ليس وراء العناد والتعنت إلا سبيل التفرق والإنشقاق، ولــن ينفعها ذلك شيئاً، بل بُعد النظر وكسب المواقف، يجب أن يكون هو السائد في تعقلها.

وقــد تقوم بعض النساء بالصراخ والشتائم والتهديد والوعيد للزوج، أو ترك البيــت والأبــناء، وما إلى آخر هذه الأنكاد، ولكن لو فعلت المرأة ذلك، وأعلنت ثورتها أو غضبها، هل تظن أنها بهذه الكيفية ستحل مشكلتها؟ أو ستنال من زوجها نــيلاً يقلــع عــلى إثره عن عزيمته أو ما قام به؟ بالتأكيد إنه ظن خاطىء، بل إن الــتفاعل الحسن والكلمة الطيبة مع الزوج، هي الدواء الناجع، وهو بلسم الجروح للطرفين، وهو الموقف الطيب الذي لن يُنسى.

وكقــول إحداهــن: إن كان زوجاً طيباً وتزوج بغيرنا، فسيزيد نفعه للناس، وسنشــتاق لــــه أكــثر عند غيابه، وإن كان رجلاً سيئ المعشر، إنشغل بنفسه، وتخلصنا منه لبعض الأيام.

أمــا نحن فنقول إن النساء يجب أن يدركن، بأن يجعلن هذا الأمر طبيعياً، بل

هو طبيعي، وأن المرأة لا يصح أن تشغل نفسها كثيراً بما هو خارج دارها، والدائرة الـــتي تعيش بها، وتوجه تركيزها وإهتمامها في غياب زوجها إلى الإهتمام بنفسها، وأبـــنائها، فهي قد حصلت الآن على وقت أكثر، وفرصة أوسع، لأن تقوم بتطوير نفسها وعلمها وثقافتها ودراستها، التي قد تكون حُرمت منها لضيق وقتها بتواجد زوجهـــا الـــيومي في المترل، أي أن على المرأة أن تستخلص لنفسها جميع الجوانب الإيجابية، من خلال إنصراف الزوج قليلاً عنها، وستجد أن ما حصل، إنما قد صب في مصـــلحتها أكـــثر مما صب في مصلحة زوجها، الذي إزداد أعباء فوق أعبائه، وأتعاباً فوق أتعابه.

أمـــا إذا أشغلت المرأة نفسها بما هو خارج الدائرة التي تعيش فيها، فهي حتماً ســـتبدّد طاقتها وستضيّع وقتها وجهدها فيما لا ينفعها، بل يضرّها ويضرّ نفسيتها، وبالتالي تضرّ الجوالعائلي، والتوازن الطبيعي في البيت.

وقد يهم المرأة أن تعرف الفروق الخَلْقية بينها وبين الرجل، والطبيعة التي خلقه الله عليها، حيث أن الميل الغريزي عند المرأة يختلف جذرياً عن طبيعة الميل الغريزي للـــرجل، فميـــلها ذو نزعة تميل إلى الزواج والإرتباط، والتمسك بحياتها الزوجية والمحافظة على أبنائها وبيتها، بشكل أقوى من الرجل الذي يُعمل عقله عادة في هذه القضايا، وشيئاً من العاطفة، فهي إذن تُعمل عاطفتها أكثر بكثير من العقل، ولذلك نجدهـــا أكثر تمسكاً وأكثر إرتباطاً، وهي تجد العفاف كاملاً والكفاية والرضى في الحياة الزوجية المستقرة، وهذا مما قدره الله لها في خلقها.

وربما يصعب على المرأة فهم تصرّف الزوج في هذه العلاقة، لأنها لم تعِ طبيعة خلقـــه، وخاصة حينما ترى نفسها كاملة غير مُنقصة لواجباتها ومسؤولياتها تجاهه وتجاه بيته وأبنائه.

توجُّـــه الـــزوج إلى التعدد ورغبته فيه، يتطلب من الزوجة الأولى في الحقيقة موقـــف الإستعداد للتعامل مع هذا الواقع بحكمة، وللتعايش مع الواقع، وخاصة في ظـــل هـــذا العصر ذي الهو ية الضائعة، الذي رجعت فيه فكرة التعدد الشرعي إلى

الـــوراء، وأصـــبحت منكراً، وأصبح إعتبار التعدد الغير شرعي أقل منكراً منه، بل ليس به شيء يُنكر.

وقد يكون مناسباً أن نجيب على بعض الجمعيات التي تناهض فكرة التعدد في الـــبلاد الإسلامية وطبيعة التعدد الإجتماعية فيها، على سؤال جدلي يطلقونه، وهو لماذا يعدد الرجال ولا يسمح للنساء بالتعدد.

## تعدد المرأة للرجال:

أمـــا الحديـــث عـــن المرأة وإمكانية تعددها للرجال، فهو حديث إفتراضي وإعتـــباطي، وفي حقيقته يخرج عن الطبيعة البشرية والسنة الكونية، التي نظمها الله لـــلمخلوقات، و لم يكن لـــه واقع فعلي منذ أيام سيدنا آدم عليه السلام حتى يومنا هـــذا، فهو في طبيعته مخالف للفطرة، ولا تقبل به النساء أصلاً في بلاد المسلمين أو بـــلاد غـــير المسلمين، ولا يرتضيه الرجال على أزواجهم في الشرق أو في الغرب، ولـــيس هو بالأمر المستساغ بأي حال من الأحوال لأي من الطرفين، إلا في حكم الـــبغاء، ولذلك بقي هذا الأمر شذوذاً في البشر، ولا مكان لـــه هنا في أحاديثنا، ونرد قوله على أصحابه.

## * همس في أذن الزوجة:

ربما قد حصلت المرأة على كثير من الفوائد من خلال قراءتها لما سبق، وأظنها عـــلى علم أن بيدها الشيء الكثير لفعل شيء كثير، في سبيل حياة سعيدة، في ظل زوج لديه زوجة أو زوجات أخريات، أو ليس لديه غيرها.

### *التركيز على السعادة:*

أي أن الأصل في أي مسألة من مسائل الزواج، يجب أن يتم التركيز فيها من الزوجة على سعادتها، وكيفية صناعة حياة زوجية سعيدة، وليس الأصل في الزواج التفكير في المسائل المادية أو المسائل الإجتماعية، أو فيما هو خارج دائرة الزوجين

كوحدة عائلية منفردة.

أما إذا إنصرف تفكير المرأة عن هذا الأصل، وجعلت المشاكل وحياة الصراع مـــع الزوج، وجعلت المسائل التي من شأنها إثارة المتاعب وصناعة الأنكاد معه هي الأصـــل، فإنهـــا إذن لن تحتاج لأن يتزوج زوجها بغيرها، أو أن يكون لـــه زوجة أخـــرى، لأن الأصل عندها في أفكارها هي إثارة المتاعب والأنكاد، فيكون الخلل إذن في فكر المرأة وليس في فعل الزوج أياً كان وضعه.

***إحتواء الزوج:***

ولـــنعد قلـــيلاً إلى الأسباب التي تدفع الزوج إلى التعدد، والتي منها ما يخص الزوجة الأولى، والذي على رأسه فشل الزوجة في إحتواء زوجها، ولقد ذكرنا على رأس مـــا ذكرنا كعنصر أساسي "الإهمال"، إهمال الزوجة لزوجها، وإهمالها لنفسها وأدبها وعلمها وثقافتها، وإهمالها لأبنائها ولتربيتهم، لذا فإن من الهمس الطيب الذي أهمســـه في أذن الزوجة، أن يكون هاجسها الوحيد دائماً هو إحتواء الزوج، وإن خـــير دليل على احتوائها لـــه عندما تجده يلتصق بها وبالبيت والأبناء، وعندما تراه يجـــد راحـــته وهـــناءه بمقامه في بيته، لا يحب تركه ولا يطيق البعد عنه، فإن فعل خلاف ذلك، فغالباً ما يكون هناك خلل في إحتوائه.

أما ما هي الأمور التي تجعل الزوجة تستطيع إحتواء زوجها، هو عندما تصب جـــل إهتمامها في رعاية نفسها ومظهرها وثقافتها وأبنائها، ورعاية زوجها وبيتها بما هم أهل له.

وكذلـــك عندما تكون الزوجة هي الأخت والأم والصديقة والصدر الحنون للزوج، وليست الند له، وليست صاحبة القيادة والتصرف، والأمر والنهي في البيت وفي زوجها.

***الرجل طفل كبير:***

وقد يكون بعضهم محقاً عندما قال أن الرجل طفل كبير، فهو يرضى بالقليل،

ويســعده طيب الكلام وحلوه، ويأخذ بتلابيب عقله التعامل الحسن، ويسعده رد الســيئة بالحسنة، والتجاوز عن خطاياه، والرضا بما يقدم، والهدية والشكر الجزيل لـــه ولأفعاله.

أما إذا إنصرفت الزوجة بنفسها وبهو اها إلى ما في يد زوجها، وإلى ماله، فإن ذلــك ممـــا لا يخفى على الزوج، وهو مما يحسه فيؤذيه، فيشعر أن قيمته واحترامه مقـــيدة بديناره ودرهمه، وأنه إذا فقدهما تبدلت أحواله وتبدل حالها معه، وأنها إن وجدت من هو أكثر منه مالاً فستصرف وجهها إليه؛ أو على أقل تقدير أنها تُشعر الزوج أنها لا تحفظه في ماله، والعبرة بسعادتها تكمن في صرف المال وتبذيره، وليس في سعادته وإسعاده.

عـــلى العموم فإن مقاييس العلاقة الزوجية عند المرأة، يجب أن تكون منضبطة ومركـــزة عـــلى نجاح الحياة الزوجية، وليس على المصالح والمنافع المتأتية من خلال الحـــياة الزوجية، فلا ينصرف الإهتمام عن ما هو مهم وأساسي، وقام عليه إرتباط الزوجين، إلى القشور التي لا تنفع.

وعـــلى هـــذا الأساس فإن أدت المرأة ما عليها من حقوق وواجبات، إتجاه نفســـها وزوجهـــا وأبـــنائها، وعلى الرغم من ذلك أقدم زوجها على الزواج من غيرهـــا، فلا نقول إلا أن هناك حتماً دوافع أخرى عند الزوج دفعته للزواج، ليس للزوجة الأولى شأن بها.

وفي هذه الحالة أعود فأذكّر بما ذكرته من المواقف الحكيمة التي على المرأة أن تـــتخذها، حين تصب تفكيرها وتركّزه على نفسها وحياتها الزوجية وسعادتها مع زوجها، أيّاً كان وضعه وأفعاله، وستكون حتماً هي الرابحة في نهاية المطاف.

# ماذا على الرجل فعله عندما يعزم على الزواج بأخرى؟؟؟

## لن أقول للزوج:

حـــتى تقبل بك المرأة التي تخطبها، عليك أن تكذب عليها، مدّعياً أنك تعيش حياة الجحيم مع زوجتك الأولى، وأن زوجتك إمرأة لا تكافئك، وأنك صابر عليها طوال السنين كرماً منك وتحلّماً، أو أنها مريضة، أو أنها بلهاء، أو.. أو.. أو..

لا داعـــي لأن تكـــون شجاعاً، ولا حاجة لأن تبلّغ زوجتك بأنك ستتزوج بأخرى، حتى لا تغضب وتنكد عليك حياتك، وتُفقدك بهجة الزواج الجديد.

يجب عليك أن تخطط لحياكة الكثير من الخطط والتدابير، قبل أن تبدأ بفكرة الـــزواج، حتى تتمكن من الإنزواء عن زوجتك الأولى، وذهابك للزوجة الجديدة بالخفاء.

يجـــب أن تتعلم فن الكذب وحياكة الأكاذيب، فتلفق لنفسك وظيفة معقولة أمام زوجتك الأولى، غرضها التذرع بالغياب عن المترل يوماً بعد يوم.

أبلغ الجميع أنك مسافر، وإذهب فتزوج خفية، حتى تقضي شهر العسل.

أو لا داعي أن تبلغ أحداً بهذا الأمر، حتى ولو أنجبت بعضاً من الأبناء، صحيح أنـــك ستحرم أبناءك التعرف على بعضهم البعض، وعلى بناء أواصر أخوة طبيعية شرعية، ولكن لا بأس من ذلك، حتى لا تُغضب زوجتك الأولى.

يجب أن تجد من يعينك فيكذب معك، لأنك في حاجة لأن تقوم بسلسلة من الأكاذيـــب لحـــياكة الكثير من الخطط، حتى لا تقع في مأزق إنكشاف جريمتك!، أكاذيب ليس لها غرض إلا إخفاء الزواج الآخر.

لقـــد أصـــبح لهذه النصائح واقع فعلي بين الناس، وكل ذلك لــــه دلالة على ســـخف عقـــول بعضهم، وضعف مواقفهم، وشعورهم بأن الحق هو باطل، وأن الـــباطل هـــو حق، ولذلك فإننا أصبحنا نرى صوراً إجتماعية غريبة على سلوك الإنسـان السـوي، وغريبة على طبيعة تعدد الزوجات والحياة الإجتماعية، وعلى

سلوك الرجل كرجل عاقل.

فمن أراد الزواج بأخرى فليدع هذه السخافات، وهذه الإنحرافات السلوكية، وإن كان يظن أن التعدد أمر غير صحيح، وأنه فعل إجرامي، فليدعه وينصرف إلى غيره، ويوفر على نفسه وغيره الإرتباك والإضطراب.

وهناك فرق شاسع بين رجل قام بالتعدد، وهو يعلم يقيناً الدوافع التي دفعته إليه، وبين رجل آخر لا يعرف لماذا قام بالتعدد، أو لماذا يريد القيام به.

### *ما أهمية أن يعلم الرجل الدوافع التي تدفعه إلى التعدد؟*

إن لمعرفة الدوافع أهمية قصوى، فالرجل الذي يقوم بالتعدد وهو يعلم مبتغاه منه، ويعلم مآل الزواج ويعلم الغاية منه، ويكون صاحب رؤية واضحة، تجده رجلاً صاحب عقل ورأي وحكمة، وتجده رجلاً قادراً على التعدد، وصادقاً في عزيمته، ومحافظاً على كيانه، وتجده أكثر تحملاً للمسؤولية، وعلى كل ما يترتب على هذا الأمر.

أكثر من هذا الرجل فضلاً وصلاحاً وكرماً، هو الرجل الذي يبتغي من التعدد غاية أو غايات شريفة ورفيعة، أي في تعدده غاية لا تقتصر على هواه الشخصي، بل تتعداها إلى أكثر من ذلك، كالغاية التي تتحقق فيها القيم الأخلاقية أو الإنسانية للمجتمع المحيط به.

وأكثر من هؤلاء الرجال عقلاً وحكمة وثباتاً، وحفاظاً على الحقوق، هم الرجال الذين يقومون بتحقيق القيم التي ذكرنا، من منطلق عقيدة راسخة وإيمان بالله، وليس تحقيقاً للقيم من منطلق هوى، كالرياء والسمعة مثلاً، أو مصلحة خفية.

أما الرجال الذين يقومون بالتعدد دون علمهم بالدوافع التي دفعتهم أو تدفعهم للتعدد، فإننا لا ندينهم هنا، لأن قسماً منهم قد يكون يعلم الدوافع شعوراً، ولكن لا يعرف أن يصرح بها، أو يعرف أن يصرح ببعضها، لربما لأن هؤلاء الفئة لم تشغل نفسها يوماً بوضع النقاط على الحروف، فيعرفون بالتحديد ما

يــريدون من هذه الحياة مما لا يريدونه، ولذلك قد تجد عند هؤلاء بعض التذبذب وضعف الشخصية.

والــبعض الآخــر مــنهم لا تجد عنده أي علم، أو سابق فكرة عن عزيمتهم وإرادهمــم للــتعدد، ولكنهم يقومون به لمجرد العادة وتكثير الأزواج والأبناء، دون ضابط أو نظام لحياهم الشخصية أو لعلاقتهم الزوجية، أو لحياة أبنائهم، وحاضرهم أو مستقبلهم، وينجبون من الأبناء والبنات العديد ممن لا قيمة لهم أو وزن في العائلة أو المجــتمع أو الأمة، أي كمجرد مخلوقات تعيش لتأكل فتنام، فتعيش حتى يأتيها الموت، دون تميّز في تربية أو رعاية أو تنشئة أو علم أو تطوير.

وأقــل عقلاً من هؤلاء، الذين لا يعطون العلاقة الزوجية حقها، من الحميمية والرحمة والعدل تجاه الزوجة أو الزوجات، ويتعاملون معهن كسلعة ممتعة ومسلية، ويظــنون أن الزوجة تختلف عنهم في حاجتها إلى الإهتمام والرعاية، وحاجتها إلى الخُلُق والتعامل الحسن، فكما أن الزوج ينظر بعين الحاجة إلى أن تكون الزوجة هي الصــاحبة والأخت والأم والحضن الحنون، فالزوجة لا تختلف عن الرجل مطلقاً في حاجــتها، أن يكــون الــزوج هو العوض عن الأب والأم والأخ والأخت، وهو الصديق الوفي والصدر الرحيم، والمربي الحليم، والولي الحميم.

والأقــل عقــلاً من هؤلاء كلهم من الرجال، الذين لا تجد عندهم هذه ولا تلــك، ويتعاملون مع التعدد بدون مراعاة قيم إنسانية أو أخلاقية أو روحية، ولكن مــن مــنطلق شــهوة مجــردة، وللتنقّل بين أحضان النساء، وتنوعهن، ثم فراقهن وطلاقهن أو إهمالهن.

قــد تكــون الأنظمة القائمة في العالم العربي سبباً رئيساً لإنحرافات كثيرة من الــرجال، بســبب إعطاء الرجل من الحق ما لم تعطه للمرأة، فلا شيء يحول دون ظلمها وقهرها وسلب حقوقها، فتبقى المراة تحت رحمة انصاف الرجال، لا تجد من تتظلم إليه منه إن ظلمها، وإن وجدت، فهي لا تستطيع التحرك بين جموع الرجال في دور القضــاء، وإن إســتطاعت، فهــي لا تعرف أساليب الدعاوى القضائية،

وخاصة إن لم تجد قضاء عدلاً وخصماً عادلاً، أو بالتأكيد لا تعرف التعامل مع الإنحرافات الإدارية كالرشاوى مثلاً. ولذا فإن هذه الأوضاع، تُبقي المرأة دائماً وقيمتها وموقفها ضعيفاً في المجتمع، وتدعم موقف الرجل، الذي كثيراً ما يتشدق بحقه الشرعي في التعدد، ويسيء إستخدام هذا الحق، إساءة بعيدة عن الدين والأخلاق والإنسانية، ناهيك عن صنع عرفٍ عامّ للنظر إلى المرأة كأنموذج جنسي متنقل، وليس كعضو بناء إجتماعي، ودولي فعّال.

ولكن هل الزواج أو التعدد يسير بغير إنضباط وغير شروط، وهو خارج دائرة السيطرة والمراقبة، وهو يبيح للزوج كل شيء على الإطلاق، ويحرم الزوجة من كل شيء على الإطلاق، أو يميل إلى صف الرجل دون المرأة؟

وإذا أردنا أن نكون منصفين، فالحقيقة تتحدث بهذا الواقع، والرجل عنده كل شيء ويحق له كل شيء، والمرأة محرومة من أكثر حقوقها، ولكني هنا أتحدث عن الواقع، وليس مما رسمه الإسلام في حقوق الزوجين، ومما فرضه في إطار العلاقة والحياة الإجتماعية بين الزوجين، داخل البيت وخارجه، ناهيك عن التعدد.

لا يتشدق رجل بالتعدد، ويرغب فيه، وهو في الأصل لم يؤد الحقوق الزوجية التي عليه كاملة لزوجته الأولى، ولا يتشدق آخر بالتعدد وهو قد أضر بزوجته وظلمها وأساء تعاملها، وأساء تربية أبنائه، وضيّع الحقوق التي طلبها الله منه تحقيقها في زوجه وأبنائه، ولا يتشدق رجل بالتعدد ويعزم عليه وهو في الأصل سيء الخلق، سيء المعشر، دنيء الصضطباع، خبيث، أو بخيل، أو جشع، أو ما شابه تلك الصفات، والعياذ بالله، فالتعدد يتطلب رجلاً يقوم بالتعدد من باب الرجولة والإلتزام والإنضباط، وطلب الستر والنهضة بالمجتمع، ومراقبة رضا الله وإتقاء غضبه سبحانه وتعالى، دون إنكار الهوى الفطري والجنسي، وليس التعدد هو الإفراط في النساء وإستخدامهن، والعبث بالعلاقة بهن، وليس التعدد لأنصاف الرجال، الذين يعتدون على حرمات النساء، ويظلمون، ويعبثون.

## همس في أذن الرجل:

***المرأة كائن طيب:***

قــد يظن رجل أن الحل للمعاناة التي يعانيها مع زوجته لأمر ما، وللحصول على الراحة والإستقرار في حياته هو عندما يتزوج غيرها، هذا الظن في الغالب هو ظــن خاطىء، فالمرأة في حد ذاتها طيبة القلب، تبحث من أعماقها عن الإستقرار والراحة في ظل زوجها وأبنائها، حتى ولو لم تُبد ذلك، وطلب العفاف عندها عميق وذو شــجون، وهو الذي يفسر ميلها العميق إلى الإحسان، وفعل كل شيء طيب مــن شأنه أن يحافظ على كيان حياتها الزوجية، إلا أنها إن لم تجد رجلاً يقدّم لها ما تحــتاجه من عطف ورحمة وعدل، وما تنشده من تسامح وصبر وسعة صدر، فإنها ستتصــرف بإرتــباك وخوف ودفاع عن النفس بشكل طبيعي، تجاوباً مع المعاملة الشريرة التي تجدها من الرجل.

ولذلــك فإني أؤكد أن المرأة ذات عطاء عظيم، وخير كثير، فإن وجدت من يســتطيع إستخراج كل هذه الصفات الطيبة من داخلها، فهي ستكون مثالاً طيباً للعطاء والخير، والعكس بالعكس.

***المرأة كائن ضعيف:***

كــل الكائنات ضعيفة، ولكننا نخصص هنا ضعفها مقارنة مع الرجل، وذلك في فهم بعض الجوانب من الحياة، وإدارة الحياة الزوجية، وإدارة العلاقات مع أهله وأهــلها، وفهــم بعض الجوانب الجنسية، وبعض جوانب الزينة التي يحبها الزوج، وضعف حيلتها في كيفية إحتواء الزوج بالألفاظ المحببة، والتعاملات اللينة، وضعف حيلــتها في معرفة كيفية التغلب على المصاعب النفسية، في مراحل حياتها الزوجية، كمصــاعب الوحدة، وطول فترات غياب زوجها، وزيادة تكاليف أعمال البيت وتربية الأبناء، وما شابه كل تلك المصاعب.

فلذلـــك يجـــب أن يعي الرجل كل هذه المصاعب التي تواجه الزوجة، وهي مصـــاعب تحـــتاج أن يكون الرجل فيها زوجاً رحيماً، ومعلماً صبوراً، ومتسامحاً، ويعلم أن ما تقصر فيه الزوجة ينم غالباً عن جهل، وليس عن سوء وأذى، وليس ما تعانـــيه زوجـــته من تقصير، ذريعة لـــه للذهاب والزواج بغيرها، لذلك فإن على الزوج أن يصلح داره ليزداد مقداره.

ولذلك فإن التعدد ليس غرضه ترقيع الثوب البالي، أو تغطية القاذورات بغطاء حريـــر. ولا يصح أن ينطلق من ذريعة يتذرعها الرجل، ولكن يجب أن ينطلق من منطلق العقل والتعقل، والإحسان، والإرادة الفعلية.

***المرأة كائن ذكي:***

إن الإنســـان بشـــكل عـــام مخلوق ذكي، ويتفاوت ذكاء المرأة والرجل من شـــخص لآخر، إلا أن المرأة يميزها عن الرجل وضوح رؤيتها، وبساطة طلباتها من الحـــياة، حيـــث يقودهـــا هذا الوضوح في الرؤية والطلب، إلى أن تضبط طريقة تفكيرهـــا، وتحـــدد إتجـــاه أفعالها في إتجاه معين، مما يسخر كافة طاقاتها لحاجاتها، ويجعـــلها تبدوأكـــثر دقـــة وأعمق تركيزاً وأوسع أفقاً، فيقوي ذلك من حيلتها، ويكشف لها مواضع المكر وكيفيته.

والمـــرأة ليس كما يظن الرجل، أنها أقل ذكاء منه أو أقل عقلاً، أو أقل فطنة، بـــل إنهـــا لا تختلف عن الرجل في شيء، إلا ما علمه الله سبحانه وتعالى، بل إنها تتفوق عن أقرانها من الرجال، إن وجدت من ينمي نشاطها الذهني ويغذي فكرها، ويوجـــه طاقـــتها للإنتاج والنهضة، أما إن عوملت معاملة قاصرة، على أساس أنها جاهلة أو ناقصة أو قاصر، وهذا كثير الحصول، فإنها حتماً ستوضع في قالب خانق، يكبـــت كل المقدرات الذهنية عندها ويقيّدها، ويجعلها غير منتجة، وتبدو في هذه الأثناء بليدة وقليلة الحيلة، فينعكس ذلك حتماً على التعامل مع الزوج وعلى تربية الأبناء، الذي قد يعتبره بعضهم ذريعة للزواج بأخرى.

### المرأة طاقة عظمى:

غالــباً ما تمتلك المرأة طاقة للعمل والإنتاج والتحمل أكثر من الرجل، وذلك لـــه تفســير عضوي من جانب، كما يقول الطب، وتفسير عاطفي من جانب آخر، أما التفسير العاطفي، فمصدره أن المرأة تضحي إنطلاقاً من عاطفتها بكل ما تملـــك، مـــن أجـــل ما تحب وتهو ى من أجل نفسها وأبنائها، ومن أجل زوجها وحياتها الزوجية، والسعادة التي تنشدها.

أمـــا العاطفة فهي لا تدفع الرجل إلى شيء، بل عقله هو الذي يسيّره لتحقيق مصـــالحه الـــتي هي المطلب الأعلى له، ولذلك لا تجده مندفعاً لتحقيق شيء، بل يـــتروى ويتريث ويتردد، ويقيس الأمور أكثر، فتنحسر طاقته، وقد تتبدد وهو لم يُقـــدم عـــلى الأعمـــال، و لم يضحّ بشيء، المهم أن المصلحة تتحقق، دون إشراك العاطفة فيها.

ولذلك نجد المرأة أكثر إقداماً وإنجازاً وحماساً، وأكثر طاقة من الرجل في أكثر الأحـــيان، بـــل وتجدها أكثر حماساً، وأكثر قوة عندما تكون سعيدة مع زوجها، وعـــندما تجد زوجاً يستحق كل البذل والتضحية، أو تجد زوجاً ذكياً يعرف كيف يستخرج طاقاتها ويسخّرها ويستحثها، ولا يقمع مواهبها.

إني أجده قولاً حقاً بأن خلف كل رجل عظيم إمرأة، قد تكون زوجةُ، أو قد تكـــون أمه أو أخته أو أي إمرأة حكيمة ربته، فلا يتذرع الرجل بذريعة أن زوجته غبـــية، أو ليســـت قـــادرة على فهمه، أو ما شابه هذه الذرائع، فإن كانت المرأة كذلـــك، فهي حتماً صنيعةُ هو، وهو المسؤول عن ذلك، وليس للمرأة في هذا إلا مســـؤولية محدودة، فإما أن يصنع الرجل لنفسه زوجة تكون لـــه سنداً وقوة، أو يصنع منها هيكلاً للسرير والإنجاب فقط، لذلك لا يصح أن يكون الزواج بأخرى هـــروباً، بعد الفشل في بناء حياة زوجية قويمة، وظلم للزوجة الأولى، أو من باب الـــترف والعبث، أو من منطلق الإفساد في الأرض، بل يجب أن يكون الزواج أياً كـــان أولاً أو تالـــياً، زواجاً عادلاً يُراد به الخير، ويُتجافى به الشر، ويُعمل به على

الســتر وحفظ الأعراض، وعلى نهضة الأمة إجتماعياً وتربوياً، وأذكّر الزوج كثيراً بــأن علــيه إستخراج كافة طاقات المرأة الرائعة الكامنة، ويحاول توظيفها توظيفاً صحيحاً، وإن فعل فإنه سيجد حياته الزوجية وتربية أبنائه تسيران حتماً سيراً متميزاً راقياً، يكفيه مشقة كثير من الأمور، ويصنع لــه حياة زوجية سعيدة.

# رأي الكاتب

لقد تعمدت في هذا الكتاب طرح قضية تعدد النساء طرحاً جدلياً، بعيداً عن أي قاعدة فكرية معينة، كالإسلام، كون أن الإسلام هو الفكر العالمي الوحيد الذي يشرّع مسألة تعدد الزوجات، ويحرّم تعدّد النساء في إطاره الغير قانوني، وبعيداً عن جميع القواعد الفكرية الأخرى، غير الإسلام، التي تحرّم تعدد الزوجات، وتبيح تعدّد النساء بكافة أنواعه، وتعتبره قانونياً، بشرط أن لا يكون إعتداء.

فلمْ أبْنِ هذا البحث على أساس أحد هذه القواعد الفكرية، وإنما تركته للجدال العقلي، والوجدان الفطري، ومواضع المصلحة، لينظر القارىء في أي جانب عليه أن يوظّف طاقاته ويُعمل قناعاته، وينفّذ أفعاله، دون تدخّل مني في توجيه قرارات القارىء إلى فكرة ما أو أفعالٍ ما، رجلاً كان أم إمرأة.

ولكني أرى هنا، أنّ على القارىء إمرأةً كان أم رجلاً، أن يتخذ موقفاً جذرياً حيال تعدد النساء أو تعدد الزوجات، موقفاً يتحدد فيه القبول أو الرفض، فإن فعل القارىء ذلك، فإنه سيحافظ على هويته الشخصية من الإزدواجية والتشتت والضياع، فيكون صاحب موقف، يُسيّر حياته بحسبه فيريح ويستريح، أما إن كان غير عارف أو عالم أي موقف عليه أن يتخذ، فسيبقى متذبذباً، لا ينتمي لهؤلاء ولا إلى هؤلاء، وسيعرّض هويته الشخصية إلى التشرذم والضياع والإزدواجية، وحينها لن يعرف كيف يتعامل مع غيره، ولن يعرف غيره كيف يتعامل معه.

وليس هناك إلا أحد منطلقين تنطلق منهما المرأة أو الرجل، ليحددا هويتهما ويحفظَاها من الضياع، فيتحدد قبولهما أو رفضهما لمسألة تعدد النساء:

فإما الإنتماء إلى دين الإسلام، فيرضى الرجل وترضى المرأة بما يرضاه الإسلام، وما يقرره عليهما من أو امر أو نواهي، ويصبغا أفكارهما ومواقفهما وحياتهما بهذه الصبغة، ولهما بذلك ما قرره الله تعالى من الجزاء والحساب والأجر،

وإمـــا يقومان بالإنتماء إلى غير الإسلام، فيرضيان بما تمليه عليهما القوانين الوضعية مـــن حرية شخصية، وقبول بتعدد النساء، ورفض لتعدد الزوجات في إطار قانوني، وتـــبقى الحـــرية هي السائدة بين الفعل والترك، ويكون هناك عدم إلتزام بتكاليف الإرتـــباط بإمرأة أخرى من جهة الرجل، وإرتياح إلى حد ما من جهة المرأة، طالما التزم الرجل تجاهها بعدم تعدد النساء والتنقل بينهم.

إلا أن الواقع يتحدث عن خلاف ما يشتهي المرء، فهؤلاء ممن يمنعهم القانون مـــن تعدد الزوجات، فإن الحرية الشخصية، كما هي في النظام الغير إسلامي، تبيح لهـــم مـــا هـــو أكثر من ذلك، وهو تعدد النساء، وبالتالي تجد الرجال أكثر تعدداً بمـــراحل، في الدول التي تمنعه في إطار قانوني، من الرجال الذين تبيح بلدانهم تعدد الـــزوجات في إطارهـــا القـــانوني الشرعي، وهذا قد فتح باباً واسعاً للإنحرافات السلوكية، والعلاقات الجنسية المجردة من العاطفة والرحمة والإرتباط العائلي الجاد، وفـــتح بابـــاً واسعاً للعبث بعفاف المرأة وعرضها، ولتجارة النساء، وبيعهن بثمن بخس.

إن المرأة في هذا التشريع هي المتضرر الوحيد، في إنجاب الأبناء وسوء تربيتهم فكـــرياً وإجتماعياً وأخلاقياً، فضلاً عن العلاقة الزوجية أو الغير زوجية المجردة من كثير من العاطفة والرحمة والخير.

أمـــا الواقع في البلاد الإسلامية، التي تسمح للقانون الإسلامي الشرعي بتعدد الـــزوجات، فإن طريقة إستخدام هذا الحق الشرعي يتعرض في المجتمعات التي تقوم بـــه لسوء إستخدام وسوء تطبيق كبيرين، من الرجال ومن الأنظمة، بسبب الظلم الـــذي يقـــع غالباً على المرأة، أما ما حَسُن من التعدد، فهو يتعرض إلى عواصف فكـــرية كـــثيرة تحاربـــه، وخاصـــة من النساء اللاتي تأثرن بالفكر المحارب لتعدد الـــزوجات، فقامـــت النســـاء بعـــرقلة مسألة التعدد وصعّبوها لرجالهم بالأنكاد والمشـــاكل، حـــتى بات كثير من الرجال يخافون زوجاتهم، ويخافون الأنكاد التي تصطحب توجههم للتعدد.

وفي رأيــي لــو علم النساء عن الخير الذي يأتي به هذا التشريع الإلهي لهم، ولغيرهم من النساء والرجال وللمجتمع، لكانوا هم القائمين على هذا الأمر يدعون إلــيه، ويعضدونه، وأرى أنه يكفي على المسلم والمسلمة إن كانت قد آمنت بالله حــق الإيمــان، القبول والرضى بتعدد الزوجات من منطلق أن هذا أمر الله الخالق الــبارىء المشــرّع، ويكفي على المسلم إن كان قد آمن بالله حق الإيمان أن يقوم بالــتعدد ويحقق به القيم الأخلاقية والإنسانية والروحية، وما أمره الله به من العدل والرحمة والمساواة.

أما التعنت في هذا الأمر، وإظهار عدم الرضا وعدم القبول بأمر الله، فهو من الجهــل وإتباع الهوى، الذي يهوي بصاحبه في الدنيا والآخرة إلى ما الله أعلم به، وإن المــرأة التي تجد في نفسها شيئاً من هذا الفعل ويؤذيها، فإن الصبر والإحتساب لــه أجره عند الله وثوابه العظيم، وهي بصبرها وإحتسابها، تعين لنهضة المسلمين، وتحميهم من الفساد والفسوق وضياع الحقوق.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَـا كَـانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

ويقول سبحانه تعالى:

﴿فَـلاَ وَرَبِّـكَ لاَ يُؤْمِـنُونَ حَـتَّى يُحَكِّمُـوكَ فِـيمَا شَـجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

وقال سبحانه وتعالى:

﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

**إنتهى**

الدار العربيـة للعلوم
Arab Scientific Publishers

# لا بدّ من زوجة أخرى!؟

هـل يُعتبر تعدد الزوجات أو تعدد النساء، من المسائل الضرورية أو الملحة للرجل؟

هل هناك حاجة للسماح للرجال بتعدد الزوجات؟

هل يتسبب تعدد الزوجات بعرقلة النهضة في المجتمعات؟ أم هو إجراء ضروري للنهضة؟

ما الفرق بين تعدد النساء، وتعدد الزوجات؟ أيهما أصدق؟

أيهما أصلح للمجتمعات؟

هـل تعـدد النساء مقتصر على المجتمعات العربية والإسلامية، أم هو شائع حتى في المجتمعات الغير عربية وغير إسلامية؟

مـا هـو رأي النسـاء المسلمات والعربيات في التعـدد؟ وكذلك ما هو رأي النسـاء الغير عربيات والغير مسلمات في التعدد؟

ما هو رأي الرجال في تعدد النساء؟ عرباً كانوا أم عجماً؟ مسلمين أم غير مسلمين؟

لقـد كانت، ومـا زالت، وستبقى كل هـذه الأسئلة عن موضوع تعدد النسـاء وتعدد الزوجات، موضـعَ جـدلٍ واسعٍ وعريض في جميع أنحاء العالم، فمنهم من أجـاب عليها أو على بعضها، ومنهـم مـن لم يجب، ومنهم من يقضِ عمره وهو يجـادل في إجابات هذه التساؤلات. ولكن عند الشباب، وبالذات في العالم العربي والإسلامي، لا تجد اسئلة كهذه لإجابتها أهمية عندهم، فهم يشغلهم الإعداد للقيام بفعل الزواج، فضلاً عن الإنشغال بالتفكير في التعدد.

ولذا فسيقدِّم الكتاب فصولاً، تتحدث عن كل هذه الأمور من جوانب عدة، ليس من وجهة نظر العرب والمسلمين فحسب، بل ومن وجهة نظر العجم وغير المسلمين كذلك، ويقدم رؤية هؤلاء كلهم، لموضوع التعدد.

وكـذا الحديـث عـن موقـف الجميع من أمـر تعـدد النسـاء أو تعـدد الزوجـات، وردة فعلهم وتصرفهم إتجاهه، وكيف يتعامل كل فريق معه.




ISBN 9953-29-686-3
9789953296869






www.asp.com.lb
ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb